رسالة المناسبات الإسلامية

محمد الرابع الحسني الندوي

دار عرفات
راي بريلي (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ـــــ ٢٠٠٤م

الناشر

دار عرفات

للنشر والتوزيع

دارة الشيخ علم الله الحسني

رائ بريلي (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلّف

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد ، و على آله و صحبه أجمعين ، و بعد:

فإن مناسبات الأفراح و الأحزان التي يمرّ منها الإنسان في حياته حينما تقع للمسلمين تصطبغ بالصبغة الدينية إذا تلقّوها بنسبتها الدينية ، و ذلك لأن الدين الإسلامي يحيط بكافة ظروف الحياة الإنسانية ، و له توجيهات و إرشادات فيها ، و بذلك تصبح حياة المسلم بجميع أحوالها حياة يمتزج بها الدين ، و بذلك ينال المسلم أجراً من ربّه تعالى على أحواله المختلفة ما دامت هذه الأحوال موافقة للتوجيهات الدينية . و الدين الإسلامي لا يقيّد الحياة تقييداً قاسراً ، بل و يلطّفها و يسهّلها ، و ذلك لأنه يراعي ظروف الإنسان المختلفة ، و لا يكلّف صاحبه أمراً مستحيلاً، أو صعباً عليه ، فهو يسمح بإظهار الفرح عندما يكون هناك مبرر صالح للفرح، و يسمح بإظهار الحزن عندما يكون هناك مبرر لائق للحزن ، و لذلك حين تأتي الأعياد يسمح الإسلام بإظهار الفرح فيها ، لأنها تكون حاملة لمعان إنسانية كريمة ، و بذلك

www.abulhasanalinadwi.org

تصبح هذه الأعياد و المناسبات من الدين ، و يلقى صاحبها الجزاء عليها ، فالمناسبات الدينية و الأعياد لا يليق بها أن تعدَّ من الأمور التي لا صلة لها بالدين ، بل إنها مناسبات يتمتع بها صاحبها و ينال عليها جزاءاً حسناً من الله تعالى لكونها من الدين أيضاً ، ما دامت نية أصحابها نية موافقة لما قرَّره الله تعالى ربُّ العالمين .

فعلينا أن ننظر إلى مناسبات تتصل بعواطفنا الإنسانية ، أو تحمل لنا سروراً بما قرَّره الله تعالى فيها من نفعيها الديني و الشعوري كليهما ، و نستفيد منها ما ينفعنا دينياً و دنيوياً ، فبذلك تصبح المناسبات الدينية ذات وجهين: وجه دنيوي محبوب للنفس ، و وجه ديني يرجى فيه الأجر من الله تعالى .

لقد سنحت لي فرص للكتابة عن المناسبات الدينية الإسلامية في صحفنا الصادرة من ندوة العلماء ، و على طلب من غيرها كذلك ، و رأيت أخيراً أنه اجتمعت مما كتبت مجموعة ، و اقترح عليَّ بعض أصدقائي أن أنشرها ، فقبلت هذا الاقتراح ، فربما لا يخلو الاطلاع عليها من فائدة من وجهة النظر التي أشرت إليها ، و هي أهمية هذه المناسبات المزدوجة .

و لقد ساعدني في جمع هذه المقالات و تنسيقها للطبع أخوان عزيزان ، و هما العزيز السيد محمود حسن الحسني الندوي و العزيز محمد وثيق الندوي مساعد التحرير في إدارة

www.abulhasanalinadwi.org

صحيفة الرائد ، فأشكرهما .

و أشكر بوجه خاص أخي الكريم الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء على ما تفضل به من كتابة مقدمة قيِّمة زانت جيد هذه المجموعة، و أشكر الأخ العزيز الأستاذ واضح رشيد الندوي عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء لكناؤ ، و الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأستاذ بكلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء على تعاونهما ببعض آرائهما ، و أسأل الله أن يجعل نشر هذه المجموعة عملاً حسناً يتقبله الله تعالى ، و هو الرحيم الكريم .

٢٧/١٠/١٤٢٤هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٢/١٢/٢٠٠٣ م — رئيس جامعة ندوة العلماء لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

الحمد لله و كفى ، و سلام على عباده الذين اصطفى .

و بعد فمن أعظم نعم الله سبحانه و تعالى على عبـاده، نعمة الإسلام ، ذلك الدين القيّم ، الكامل الدائم ، الباقي النامي الأخير الـذي أكمله الله تعـالى ، و رضيـه للإنسـان للوصاية على النوع البشري ، و قيادة العالم إلى وجهة العـزّ و السعادة في الدنيا ، و الفوز بالجنة و النعيم في الآخرة ، و ذلك ما أعلن عنه كتـاب الله مدويّـاً مجلجـلاً و ممتنّـاً علـى الناس أجمعين ، فقال تعالى : "الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الإِسْـلاَمَ دِينًـا"، يروى أن اليهود لما سمعوا بهذه البشارة السـماوية العظيمـة أكبروها و أعظموها ، حتى إذا كان عهد أمير المؤمنين عمـر ابن الخطاب رضي الله عنه ـ فيما يرويه طارق بن شـهاب ـ جاء إليه رجل من اليهود و قال : " يا أمير المؤمنين ! إنكـم تقرأون في كتابكم آية لو علينـا ـ معشر اليـهود ـ نزلـت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : و أيّ آية ؟ قال : قوله تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا" ، قال : و الله إني لأعلـم ذلـك

www.abulhasanalinadwi.org

اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية ، و الساعة التي نزلت فيها، عشيّة عرفة في يوم جمعة ". فكان الإسلام هو منهج الحياة الشامل ، يمثّل كلّ نمط من أنماط الحياة في جميع المجالات الفردية و الجماعية ، و التشريع و القانون ، و الأخلاق و الفضائل و الآداب ، لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها، فكان نظاماً عالميّاً عادلاً شاملاً دائماً و باقياً ما دامت السماوات و الأرض .

انطلاقاً من ذلك أنزل الله سبحانه و تعالى لإسعاد البشرية جمعاء تعاليم واضحة ، و شعائر نيّرة ، و عبادات مُقرّبة ، فرضها على الأمة المسلمة و ربط مصيرها بها ، فمن ثمّ كان الإسلام مجموعة لقواعد و أصول لا يجوز إهمالها أو التغافل عنها في أيّ حال ، نستطيع أن نفسّر هذه المجموعة بالعقيدة و الإيمان و العبادات و المعاملات و السلوكيات الخلقية الكريمة ، فإن تعاليم الإسلام تغطّي هذه القواعد الأساسية كلّها التي تنسجم مع طبيعة الإنسان و " **فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم ، و لكن أكثر الناس لا يعلمون**". و قد نبعت من خلال هذه القواعد الأساسية مناسبات دينية و خلقية، لها صلة وطيدة بجوانب الحياة المتعددة مما يتعلّق بالروح و القلب تارةً ، و بالظواهر المادية و الاجتماعية تارةً

www.abulhasanalinadwi.org

أخرى .

و من بين هذه المناسبات شهر الصيام و ما فيه من فرص و ساعات و فترات مباركة ميمونة لتزكية النفس و تطهير القلب ، و ما فيه من لفتات الرحمة و المغفرة و العتق من النيران ، و ما فيه من ليلة مباركة هي ليلة القدر، **" و ما أدراك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر"**، و ما فيه من أوقات سعيدة مليئة بالنجوات و الاستجابات ، في الاعتكاف و ليالي العشرة الأخيرة ، و الإقبال العظيم على الخير و البرّ و النصح و الإيثار ، و ما بعد ذلك كله من عيد سعيد كان يتطلع إليه المسلمون في مشارق الأرض و مغاربها مع بدء الشهر الفضيل ليتخذوها مناسبة إسلامية عظيمة لتبادل الأفراح و الزيارات و التهاني الخالصة ، و قد جعله الله تعالى يوم الفرح و السرور و الحب و الأخوة ، و جعله يوم أكل و شرب و لعب ، جاء فيما رواه أحمد و غيره من أئمة الحديث بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه ، قال : " قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة و لهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، فقال: ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما : يوم الفطر و يوم النحر".

كما أن عبادة الحج و ما أودع الله فيها من فرص سانحة للتقرّب إليه ، و مناسبات دينية تعظيماً لشعائر الله و إعادةً

www.abulhasanalinadwi.org

لدور الحب و الهيام و حالة العشق و الغرام التي مثّلها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أداءً لضريبة الحب الخالص لله تبارك و تعالى ، و دافع الفداء في سبيل الله ، فهي تشمل تلك الذكرى العظيمة التي تمثّل ذلك الخضوع العجيب و الامتثال المنعدم النظير لما أمره الله سبحانه في المنام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام ، و قد تحدّث عن ذلك كتاب الله في سورة الصافّات عندما سأل إبراهيم عليه السلام ربّه أن يهب له ولداً صالحاً . يقول:" ربِّ هب لي من الصالحين (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ(١٠١)فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ(١٠٢)فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ(١٠٣)وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ(١٠٤)قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥)إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(١٠٦)وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧)وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ(١٠٨)سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(١٠٩)كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠)إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) (الصافّات : ١٠٠- ١١١) و لا شكّ أن إعادة هذه الذكرى كل عام بمناسبة عيد الأضحى المبارك تحمل من معاني الطاعة و الخضوع و العبودية ، و التضحية بالنفوس و النفائس في سبيل الله تعالى ما لا يتطرّق إليه شك .

و من المناسبات الإسلامية قصة الإسراء و المعراج التي لها فضل علاقة بختم النبوة و قيادة خاتم النبيين محمد

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه و سلّم جماعة الأنبياء و الرسل ـ صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ـ في هذه المناسبة ، و ما قدّمه من جائزة الشريعة الإسلامية الخالدة على الأمة الإسلامية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس . و من المناسبات الإسلامية كذلك حدث الهجرة التي كانت إيذاناً بالفتح و الانتصار على القوى الباطلة و الأفكار الزائفة ، و إعلاناً عن عهد جديد للبشرية في تاريخ الإسلام .

هذا و ما يماثله من مناسبات إسلامية و أيام مشرقة في تاريخ الإسلام إنّما يمهّد الطريق إلى بناء حضارة إسلامية عالمية شاملة تحمل توجيهات مشرقة للمسلم في جميع مناحي الحياة و جوانبها ، و مجالاتها الفردية و الجماعية و العائلية و الأممية التي لا يستغني عنها الإنسان ، مهما كان ، لإسعاد الحياة و المجتمع .

هذا الكتاب القيّم الذي بين أيدينا مجموعة لمقالات و أحاديث كتبها و ألّفها سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام حول مناسبات دينية و موضوعات إسلامية بروح توجيهية خالصة ، و هي تنطوي على مفاهيم عالية و معان سامية مما يتعلّق بالحياة الإسلامية شبه المفقودة اليوم و المطلوبة ، كما أنها تحمل غذاءً دسماً لأولئك الملتزمين بالدين و المعجبين بالإسلام و تعاليمه، الذين لا يبغون عنها حولاً ، و لا يرضون عنها بديلاً .

ندعو الله سبحانه و تعالى أن يكتب لهذا المجهود الدعوي

www.abulhasanalinadwi.org

و التربوي قبولاً عامـاً ، و يكرمـه بقبـول حسـن، و يجعلـه ذريعة للإصلاح العام و الدعوة إلى الإسـلام ، و للاسـتفادة العامّة ، فإنّه سميع قريب مجيب.

كتبـــه

١٦ /١٠/١٤٢٤هـــ	سـعيد الأعظمـي النـــدوي
٢٠٠٣/١٢/١١م	العضـو التأسيسـي لـدار عرفـــات
	رائي بريلـــي (الهنـد)

www.abulhasanalinadwi.org

الإسراء والمعراج

www.abulhasanalinadwi.org

الإسراء والمعراج

إن الإسراء والمعراج حدث جليل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونعمة انفرد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكريم خصه الله تعالى به من بين رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ، وجاء هذا التكريم في أصعب مرحلة من مراحل نبوته ، وأقسى حال من أحوال صبره واحتماله على محن كانت تصيبه في سبيل الدعوة وأداء مسئولية النبوة ، وكان مأموراً بأن يقوم بأداء واجب الحق مهما واجهته في ذلك من معاداة وإيذاء، ويصبر على المقاطعة التي يقوم بها أبناء قومه، كان قضى في هذه الظروف الحرجة ثلاث عشرة سنة يحتمل ويصبر ويقوم بواجب الدعوة رغم كل أذى يصيبه ، وعداوة تأتي إليه حتى ضاق عليه الجوُّ، واشتد البلاء ، وكاد الأمر يتجاوز قوة احتماله ، ولكن وحي الله تعالى كان يؤاسيه، ويهيئ له الله تعالى أسباب سكينة له بطرق مختلفة، كان من أهمها بل وأعظمها الآيات القرآنية التي كانت تمنح السكينة ، وتنفس الكربة ، وكان منها حماية عمه أبي طالب له التي

www.abulhasanalinadwi.org

أتاحها الله له بكرمه عليه ، فكانت حمايته بمثابة سد أمام أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها مؤاساة زوجته خديجة رضي الله عنها، وكانت تقوم بتهدئة الهم الذي كان يساوره من أنواع الإيذاء ، والإهانات التي كانت تصيبه من أبناء قومه رغم أنه كان قبل نبوته محترماً وعزيزاً فيهم لصدقه ، وأمانته، وصفاء أخلاقه الإنسانية وكرم طبيعته ، ولكنه لما قام بواجب الدعوة إلى التوحيد انقلب الناس أعداءً له ، واستمرت معاداتهم له ، واشتدت حتى بلغت إلى حد كاد يتجاوز صبره عليه ، ووقع ذلك بصورة خاصة عندما توفي عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته خديجة رضي الله عنها فلم تبق له حماية عمه، ولم تبق مؤاساة زوجته، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يلتمس بديلاً لذلك في الطائف من أشراف قبيلتها ثقيف ، ولكن الرد جاء منهم قاسياً ومؤيساً ، فبلغ الأمر بذلك إلى الحد الأقصى من الاحتمال بضيق الأحوال، وبخاصة عند ما حدث له ما حدث في الطائف، وهو مما يكسر همة الأقوياء في الهمة و العزيمة، ويظهر أثر ذلك من دعائه في الطائف بقوله في دعائه إلى ربه "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم عدو ملكته أمري". ١

---

١ البداية و النهاية: ٣/١٣٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم ذلك لم يضعف في الصبر على هذا الحادث القاسي أيضاً لأنه كان في سبيل الله، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في نفس الدعاء ولفظه: "إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح به أمر الدنيا والآخرة" ففاضت رحمة الله عليه، وأرسل جبريل عليه السلام ليعرض عليه إرسال الله عذابه على أهل الطائف عقاباً على سوء معاملتهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنهم.

إن وقوع أحداث الجفاء والبأساء بصورة مستمرة متواصلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رسوله والله راض به إنما كان لأن الله تعالى أراد لرسوله المثل الأعلى في احتمال الأذى والصبر على عداوة الأعداء في سبيل تبليغ الحق ، والدعوة إلى العبودية لله وحده ، فترك الله تعالى أحوال الأذى تقسو عليه إلى أن تبلغ القسوة إلى المدى، ولما أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى وفائه لربه ، والصبر إلى الحد الذي يرضيه فاضت رحمة الله، وأظهر له ما يملأ قلبه طمأنينة ورضاً ، وهو طلبه له إلى السماوات حتى وصل إلى سدرة المنتهى ، وحصل له أقرب قرب ممكن إلى ربه تعالى عن طريق الإسراء والمعراج الذي هيأ الله تعالى له به العروج إلى السماوات العلى ومشاهدة أحوال البرزخ ، وما سيحدث يوم القيامة ، وما يحصل له من كرامة في الآخرة، فكان بذلك تفريجاً للهم الشديد الذي

www.abulhasanalinadwi.org

كان قد يساوره في أحوال المكاره والشدائد ، ومن معاملة الناس معه ، وكان ذلك تنفيساً للكربة التي كان يشعر بها حيناً لحين خلال أداء مسئولية الدعوة في أوساط قريش الكافرة العنيدة حيث لم يكن له سندٌ إنسانيٌ يلجأ إليه ، أو قوة مادية يعتمد عليها لمواجهة هذه الشدائد التي قد استمرت وطالت، فكان من رحمة الله تعالى وكرمه أنه خفف وطأة شعوره بالشقاء والهم الذي كان ينشأ في قلبه من الأحوال القاسية، فكان الإسراء والمعراج بذلك سبب هدوء لنفسه ، وتخفيفاً لهمه ، وبعثاً للأمل في مستقبل سعيه وجهده .

لقد جعل الله تعالى لرسوله الكريم ذلك المستوى الرفيع والمكانة العالية في كونه إنساناً جامعاً بين الصفتين البشرية والربانية بمروره من خلال أكثر الشدائد البشرية التي يمر من خلالها الإنسان البشر، وبصعوده إلى السماء ومروره من خلال أجواء الملائكة ومواضع الملكوت العالية، وبذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عاش في البيئة البشرية بأحوالها المختلفة في جانب، وشاهد الأحوال الملكية المقدسة في السماوات العلى في جانب آخر ، فجمع بذلك بين أحوال الأرض وأجواء السماء ، وقد منّ الله تعالى عليه بذكر صفته العبدية التي تشير إلى علاقته بالأرض مع الرفعة الملائكية التي أكرمه الله تعالى بها بإسرائه به وعروجه إلى السماء ، وذلك بقوله جل وعلا: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى

www.abulhasanalinadwi.org

المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُريَه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾. ١

لقد كان الإسراء والمعراج عناية إلهية عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت إليه هذه العناية في وقت كان مضى على صبره على استمرار وقائع الأذى والإهانة له من قومه، وعلى حرمانه من أسباب القوة الظاهرة التي تصد قومه من هذه المعاملة القاسية والموقف المعادي له الذي أصبحت وطأته أشد ما يمكن بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان ردءاً له إلى حد ما ، ووفاة زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي كانت تهدئ الألم الذي يطرأ على باله من جفاء الناس والعداء له ، ولقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل الطائف اليأس فهيأ الله تعالى تنفيساً لكربته وإزالة لألم نفسه بهذه الوقعة العظيمة وقعة الإسراء والمعراج التي انفرد بها نبينا صلى الله عليه وسلم والتقى بها بالأنبياء السابقين فوصل إلى أقصى ما يمكن وصوله إليه ، ورأى من آيات ربه الكبرى فكان ذلك بلسماً لجراحه، وسكينة لقلبه ، وتشجيعاً لهمته وعزيمته ، وأملاً في منحه العز والكرامة والانتصار الذي كتبه الله تعالى له في المستقل في بناء أمة ونشر دين ، كما حمّله

---

١ بني إسرائيل: ١.

www.abulhasanalinadwi.org

مسئولية تبليغه إلى الناس ليكون دينهم الوحيد المستمر إلى يوم القيامة.

لقد ميزه الله تعالى بهذه النعمة نعمة الإسراء والمعراج من بين الأنبياء الآخرين ، إنه التقى في هذه الرحلة المقدسة ، بسائر الأنبياء الأولين وفيهم جده جد الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتقى بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وكان بينهما حوار في أمور لها صلة بالشريعة والدين ، أصبحت بذلك هذه الليلة التي اشتملت على واقعة الإسراء ليلة من أعظم الليالي في تاريخ الأنبياء ، وعند ما تأتي هذه الليلة، ولعلها تأتي في شهر رجب كل عام تثير في نفس كل مؤمن ذكريات عطرة لميزة الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم، فذكرى وقوع الإسراء والمعراج ذكرى جليلة ونعمة تدل على مقام رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي جاء كآخر رسل الله والذي أكمل الله عليه دينه وأتم عليه وعلى أتباعه نعمة الإسلام، وهو الدين الذي كان مبدأه من آدم عليه السلام وإتمامه على هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فموقع الإسراء والمعراج قمة السعادة والعظمة التي وصل إليها سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن لكوننا أتباعاً له ومن أمته نجد هذه المكرمة والعزة والكرامة والشرف عزة وشرفاً لنا أيضاً لانتسابنا إلى هذا النبي الكريم ، نشكر الله تعالى على أن جعلنا من أمة خاتم أنبيائه ومن متبعي الدين الذي أكمله الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً.

www.abulhasanalinadwi.org

الصيام
و
عيد الفطر

www.abulhasanalinadwi.org

دروس شهر رمضان

(١)

أظلنا شهر رمضان المبارك، وهو شهر يحمل إلى أتباعه كل سنة معاني عظيمة من تهذيب النفس، و تربية الخلق الإنساني، يستطيع به الرجل أن يهتدي إلى ما يقع عليه من مسؤلية لحمل أعباء الرسالة الإنسانية القوية الرفيعة، وإيجاد مجتمع تعمّ فيه أسمى معاني الخلق والبر والإحسان.

هذا الشهر في نفس الوقت دورة التربية السنوية، والتدريب السنوي لترويض النفس على التحلي بخصائص الإنسان الفاضل النبيل، ونستطيع بها أن نستفيد في تربية خلقنا الذي زال عنه رونقه وضاعت صلابته، وأصبحت بذلك قيمتنا التاريخية الجليلة حبراً على الورق، أو وديعة في صفحات التاريخ؛ وبلغت بنا الصفاقة والكسل إلى أننا أصبحنا ننام على العار الذي يلحق بنا مرة بعد مرة، ونصبر على الهوان الذي كان أسلافنا

www.abulhasanalinadwi.org

يرفضونه، و إن كان هـذا الرفض على حساب بقائهم في الحياة، فقد قال شاعرهم:

ولست بمبتاع الحياة بذلة

ولا مرتق من خشية الموت سلّما

ولكننا نشتري الحياة ولذة العيش مهما كانت مقرونة بالذلة، والهوان، ونطلب كل سلّم يمكن الصعود والارتقاء إليه خشية من الموت.

وذلك لأننا نرى إلى التعب والمشقة من ناحية أنهما مجرد عنوان للحرمان من المتعة والراحة، و مادام الأمر يكون كذلك فما حاجتنا إلى ذلك، ولماذا لا نحاول التوقي منه، إننا لا نرى إلى التعب والمشقة من ناحية أنهما يرفعان معنوية الإنسان، ويرفعان مستواه في الرجولة والقوة والجلادة في الوقت الذي يجد فيه الإنسان نفسه أحوج إلى التحلي بهما،لأنها خصائص لا يمكن لأي مجتمع ولا شعب أن يذب عن حوزته، و يدافع عن حماه بغير أن تتحلى نفسه بهذه الخصائص.

ويدلنا تاريخ الإنسان وتاريخ المسلمين وتاريخ العرب كذلك على أن الأفراد والمجموعات البشرية ما دامت متمسكة بالاستعداد والرضا لتحمل المشاق، وما دامت متدربة على احتمال الصعوبات، دامت قوية صامدة وإن كانت في قلة، وكان عدوها في كثرة، وعلى ذلك سلك الصحابة رضي الله عنهم وأسلافنا الكرماء، وذلك لا يحمل لنا نفعاً دينياً فقط، بل إنما يحمل نفعاً دنيوياً ومادياً كبيراً

www.abulhasanalinadwi.org

أيضاً، وأراها سنة الله خالق الكون لهذا الكون و لا تجد لسنة الله تبديلاً.

وأرى أن هذا الشهر المبارك يحمل أيضاً إشارات واضحة قوية إلى هذه الناحية، فإنه يزورنا كل عام، يطلب منا أن نخلع عن أنفسنا لمدة معينة من الزمن في كل عام هذه الحياة الرفاهية التي نعيش بوجه عام، وأن نلزم على أنفسنا في هذه المدة المعينة حياة الشظف، والقسوة، والحرمان، كأننا ذلك الذهب الذي يدخل في النار ليخرج منها طيباً خالصاً يزهر ويلمع، وتكون قيمته في السوق أرفع قيمة.

أليس لنا أن نتلقى من شهر رمضان المبارك هذا الدرس المفيد، و نزكي أنفسنا من كل ناحية من نواحي الحياة؟.

-٢-

يدخل علينا شهر رمضان في هذا العام كذلك كما كان يدخل علينا كل عام منذ أربع سنوات بدون أن يكون المسلمون قد تمكنوا من استعادة الأرض الفلسطينية المقدسة التي خرجت من أيديهم قليلاً قليلاً في عشرين سنة،وكانت أعظم وأشد ما خرجت من ولا يتهم، هي في ٥/ حزيران سنة ١٩٦٧م،ولم يقدر العرب والمسلمون أن يستعيدوها بتاتاً مع أنهم رعدوا وبرقوا كثيراً، ولكن الذي يرعد ويبرق يمطر نادراً.

وليست القضية قضية ضوضاء أو صمت، بل إنها قضية إحراز نصرة الله وتأييده، وذلك ما لم يفكر فيه القادة

www.abulhasanalinadwi.org

والزعماء مع الأسف بل إنما دامت طريقتهم في هذا الصدد طريقة من يكون مفروضاً له أن ينال نصر الله على كل حال سواء طلبه أو لم يطلبه كأنهم ـ على أسلوب الفكر اليهودي ـ شعب الله المختار، فلزم أن يحصل لهم تأييد الله ونصره.

ولذلك بقي قادة العرب يبحثون في كل شيء سوى الأسباب التي تستجلب نصر الله تعالى، والعجيب في ذلك أنهم يعرفون كل المعرفة ما يملي عليهم التاريخ الإسلامي من الأمثلة والإشارات، إنهم علموا منه أن أفضل رعيل إسلامي منهم كذلك لم ينتصر في حروبه إلاّ بطلب نصرة الله، وببذل كل الأسباب التي تستجلب هذه النصرة الربانية وتجذبها إليهم، وهم عندما قصروا في ذلك جاء إليهم زجر من الله تعالى، فقد وقعت الصدمة المؤقتة في غزوة أحد لأن الرماة وإن كانوا مخلصين في عملهم خالفوا أمر الرسول عليه السلام، وأمر الرسول هو من أمر الله تعالى، ثم لم تكن الصدمة العنيفة التي تلقوها بصورة مؤقتة في غزوة حنين إلا لأنهم رضوا بضخامة طاقتهم العسكرية، ورأوا فيها سبباً أيضاً للتوصل إلى الانتصار، فذكر الله تعالى ذلك بقوله ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت، ثم ولّيتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها، وعذب الذين كفروا، وذلك جزاء

www.abulhasanalinadwi.org

الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾١.

أما في بدر الكبرى، وفي فتح مكة، وفي صلح الحديبية، فتوجد أروع أعمال البطولة الإسلامية، وهو الأسلوب الوحيد الذي يرضاه الله تعالى للمسلمين في مناسبات تقتضي الحرب والقتال.

فقد كان المسلمون خرجوا إلى موقعة بدر بدون أن يكونوا مستعدين للقتال، وبدون أن تكون عدتهم كاملة، ويكون عددهم شاملاً، ولم يكن في بالهم أنهم سيواجهون قتالاً، فخرجوا إليها بدون اهتمام كبير، ولكنهم لما علموا أن العدو قادم بعدة كبيرة وبثلاثة أضعاف عددهم، خيّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بين المواجهة والقتال، وبين العودة إلى المدينة، مع أن رغبته كانت في أن لاينسحبوا عن مواجهة العدو، فنزلوا على رغبته وصمدوا أمام العدو بكل تفان واستماتة، لا لأنهم يرون في ذلك المصلحة السياسية، بل لأنهم كانوا قد أعلنوا عن طاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم في المنشط والمكره، فأرادوا أن يفوا بذلك فحصل لهم الفتح في حل لم تكن تبرر لهم بالفتح.

أما في فتح مكة فقد كان لأعظم البلدان العربية خطراً وعظمةً في حالة لا يقاومهم أو يقاتلهم فيها أحد،

---

١ الآية : ٢٥، سورة التوبة .

www.abulhasanalinadwi.org

فكانوا يفتحونها بمجد ظاهر، وعظمة ملموسة، فكان من الجائز اليسير لأحدهم أن يقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، ولكن الرسول عليه السلام منع من هذا القول وقال: اليوم يوم المرحمة، اليوم تعظّم الكعبة، ولما دخلوا في مكة التي دامت أعظم صخرة في طريق دعوة الرسول عليه السلام، وكان أهلها أعظم من وقفوا في طريقه وضيقوا عليه، ثم اضطروه والمسلمين إلى مغادرتها، وحاربوه وإياهم في مهجرهم، كذلك لم يدخلوا كالغزاة الذين يظهرون الأبهة والشوكة، بل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو زعيمهم ورسولهم، في مكة وإلى أهلها، ودخل المسلمون تحت لوائه الكريم، كأخ محب رحيم إلى أخ بائس ضعيف، لا ليظهر قوته وعظمته، بل لينصر أخاه، ويخلصه من الخوف الذي يكون قد لحقه من مهابة هذا اليوم فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء(١)، ورضى بذلك المسلمون، ولم يقولوا يا رسول الله ! إنهم أشد أعداءنا، وقد استمروا طوال المدة السالفة على اختيار كل طرق القضاء علينا فلماذا لا تلقنهم ولو درساً صغيراً على عنتهم وخبثهم.

وهذا صلح الحديبية فقد أظهر المسلمون فيه من تذويب نفوسهم ورغباتهم إلى حد لايتصور من أمة غيورة

---

١ البداية و النهاية : ٣٠١/٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

مثلهم، فقد كانت كل حوادث ذلك الأوان تدعو إلى المجابهة والشدة، ولكنهم قضوا على كل صوت أناني ونفساني في رؤوسهم وصدورهم، ونزلوا على حكم الطاعة للرسول، فكانت ثمرتهم هو فتح مكة بدون قتال.

فهذا هو الدرس العظيم الذي يعطينا هذا الشهر المبارك الذي يزور كل عام، وهو درس الطاعة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب النصرة والكرامة من الله تبارك وتعالى وحده، إنه يأتي إلينا كل عام ليزيل عن نفوسنا غبار الشهوات والهوى، ويلفت عقولنا إلى معاني هذا الشهر العظيمة، معاني التضحية والإيمان، فهل يرجع قادتنا إلى فهم هذه المعاني وإلى طلب الانتصار على العدو باللجوء إلى هذه المعاني؟!

-٣-

إن من خصائص رمضان أنه لكونه زمناً للصوم، و آداب الصوم، يكون مجالاً كبيراً لأعمال البر، والخير، والتقى، وهو لذلك عند ما يأتي يأتي بخيرات عظيمة، وتهب رياح الخير منذ افتتاحه، وتتوقف رياح الشر عن الهبوب بوجه عام، ويصدق بافتتاح الجو الرباني في الأوساط الصائمة الكريمة هذه ذلك الدعاء الكريم الذي جاء في الحديث الشريف: "فيا باغي الخير أقبل، و يا باغي الشر أقصر"١،ويصدق ما جاء في

١ جامع الترمذي، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم: ٦٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

الحديث الشريف أيضاً أن مـردة الشـياطين والأجنـة ١ إنمـا يحبسون منذ بدء هذا الشهر فيقل بذلك الكيـد الشـيطاني للإنسان فيسـتطيع فيـه الإنسـان أن يميـل إلى أعمـال الـبر والخير بصورة أوضح وبطريقة أسهل.

ولكن يجب أن لايغيب عن أذهاننا أنه يوجد في بني آدم أفراد يتقمصون الطباع الشيطانية لطول عكوفهم علـى الأخلاق الشيطانية، فهؤلاء الناس لايختلـف عندهـم الأمـر سواء كانوا في رمضان الذي يحبس فيه الشياطين، أو كـانوا في غير رمضان الذي يطلق فيه الشياطين ليضلوا من شـاؤا من الناس، لأن ما يريده الشيطان منهم إنما تعودوا علـى أن يأتوا به بأنفسهم دون أن يحتاجوا إلى ترغيب الشـياطين إلى الآثام لطول ما انغمسوا في الضلال والانحراف مما جعلـهم لا يسـتطيعون التمـييز بـين الخـير والشـر، وبـين الهدايـة والضلال، فهؤلاء هـم الذين لا ينفعهـم احتبـاس الشـياطين ومردتها عنهم، ولا يزيدهـم حلـول شـهر الصيـام دنـواً إلى البر، واقترابا إلى الخير.

ولكن الذين يختلفون عن هؤلاء، والذين لا يـأتون الإثـم والفجـور إلا وفي أنفسـهم استحياء وخجـل، وفي

١ روى أبو هريرة قل: قل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتاكم رمضان شـهر مبارك فرض الله عز و جل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيـه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين . . . . "سنن النسائي، رقم: ٢١٠٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

قلوبهم ملامة على اقترافهم للإثـم، فـهم يسـتفيدون مـن حلول هذا الشهر المبارك، وقد تنقلب حياة بعضهم انقلاباً، وتبرز من داخلهم شخصية أخرى؛ فيها كـل معـاني الخـير، والإنسانية، وفيها الطهر، والسمو، والبركة.

فالصيام من أعظم العوامل التي تسوق أصحابها إلى الخير، وتكون سبباً لتحول النفـوس مـن جـهات الشـر إلى جهات الخير، وتكون ذريعة لتربية الخلق، وتنشـئة النفـوس على الكرم، والإنسانية، والبر، والأخلاق الفاضلة، والآداب النبيلة.

إن الصـوم يسـتحق بانطوائـه علـى هـذه الطبيعـة الكريمة من سمو الأخلاق، ورقة الطبـاع أن يسـمى بمدرسـة الأخلاق الطيبة، والتربية على الـبر والمؤاسـاة، لأنـه حينمـا يأتي يأتي بهذه الأعمال، وحينما ينصرم ينصرم بعـد تربيـة تلاميذ المدرسة قليلاً أو كثيراً على حسب مـا بذلـوه مـن عناية واهتمام وإخلاص.

إن الصيام بركة لصاحبها أيضـاً ولغـيره مـن رفاقـه وبني جنسه أيضاً، فإن الصائم ينفع بصومـه نفسـه، وينفـع غـيره كذلـك، إنـه ينفـع نفسـه في تربيتـها علـى الأعمـال الإنسـانية النبيلـة، والأخـلاق الطيبـة الكريمـة، وعواطـف اللطف الرقيقة، وينفع غيره بأنه لايسيئ إليه حتـى الإسـاءة التي كان يسيئ بـها في غـير رمضـان بـل يسـعى لمؤاسـاته بالطعام والشراب، وبالمجاملة الصادقة معـه، وبذلـك تكـثر أعمال البر والإحسان في هذا الشهر المبارك الكريم.

www.abulhasanalinadwi.org

وإنه تتجلى في هــذا الشـهر الكريـم معـاني تلـك القولة الإنسانية الفاضلة التي قالها الرسول الأعظـم صلـى الله عليه وسلم: "كلكم من آدم وآدم مـن تـراب، لا فضـل لعربي على عجمـي إلا بـالتقوى والتقـوى هـهنا" وأشـار عليه الصلاة والسلام إلى صدره الشريف ثلاثاً.

وذلك لأن تساوي الإنســان بالإنسـان يظـهر بكـل قوته في هذا الشهر حتى لا يبقى معه فرق بين غـني وفقـير، وبين صاحب ثروة وبين محروم، فإن كلهم يجوعون ويظمئون لفترة من الوقت، والفقير الذي كان يجـوع ويظمـأ لحرمـان من الطعام والشـراب لا يجـوع الآن ولا يظمـأ إلا لطلـب رضوان ربـه، والغـني كذلـك يجـوع ويظمـأ لهـذا السـبب، فيستويان جميعاً حتى في الأسباب، فما أبلـغ هـذا التسـاوي بين إنسان وإنسان.

إنه لاشك في أن الصوم إذا كـان مصحوبـاً بكـامل حقوقه وآدابه يسـتطيع أن يـأتي بخـيرات كثـيرة، وحسـنات عظيمة، ويكون سبباً لهبوب رياح البر، والمؤاساة، والإحسان، والوفادة في أوساط الصائمين وغـير الصـائمين كذلـك مـا داموا يـؤدون حقـوق الصـوم ويتصلـون بـه اتصـالاً لائقـاً جديراً.

بـارك الله في هـذا العمـل وبـارك في هـذا الشـــهر الكريم الذي يأتي معه!

www.abulhasanalinadwi.org

شهـــر رمضـــان
وتزكية النفس والمؤاساة للناس

إن شهر رمضان يأتي إلينـا بسـرور غريـب وبهجـة عجيبة بما يمهد لنا طريقاً لعمـل إنسـاني وربـاني في وقـت واحد،نربي بهذا العمل نفوسنا على النزاهـة والإخـلاص والشعور الإنساني النبيل، يأتي إلينا هـذا الشـهر فنصـوم فيه، ونؤدي ما علينا نحو هذه الفريضة من الواجب، ولذلك يهتم الصائمون به كثيراً، يستقبلون شـهره بحنـين واشـتياق عظيم، ولا يغادرهم هذا الشهر بعد ما قضوه صلاةً وتـلاوةً وعزوفاً عن الرغائب الكثيرة، يؤاسون الضعفاء والمحرومـين بمـا يسـعهم مـن المـال فـلا يغـادرهم هـذا الشـهر إلا وفي عيونهم دموع، وفي قلوبهم حسرات.

إن الصـوم يعطينـا صفـاءاً في النفـس، وطـهارةً في الروح، ورقةً في الشعور، وكرامـة في الأخـلاق، وسـلامةً في السلوك، ورفاهيةً في الحياة المعنوية، ولا يأخذ منا شـيئاً غـير أنه يلقي علينا شيئاً من التعـب في الجسـم، ويحملنـا علـى

www.abulhasanalinadwi.org

رياضة لبعض الحواس، إنه نظام غريب مفيد من نظم الأخلاق والسلوك الحسن في حياة الإنسان، يربيه على خير الخصائل، ويبعده عن جميع الرذائل، ويزكي الروح، ويطهر النفس الإنسانية عن الدنس والأرجاس التي تلطخ حياة الإنسان لطول ممارسته للدنيا و استمتاعه بملاذها بحرية وانطلاق بحيث إن النفس الإنسانية لطول ملابستها بكل ذلك تتسخ اتساخاً تفتقر بعده إلى غسل وتنظيف، و ذلك الغسل و التنظيف ليس إلا هذا الصوم.

وعمل الصوم في هذا الصدد عمل جليل، فإنه يربي النفس الإنسانية على أكرم الخصال، ويقلعها لحين من الزمن عن الرغائب التي يعشقها الإنسان وهي تكدر نفسه وتوسخها، لكن الصوم يغسلها ثم يبرزها بعد أداء هذه الفريضة أو هذه الرياضة طاهرةً بيضاء نقيةً.

إن من طبيعة الناس أن يعملوا لصحتهم وسلامة أبدانهم الشيء الكثير، ويزهدوا عن الرغائب التي ينهاهم عنها الطبيب أو الإخصائي في أمراضهم إبقاءاً على سلامة أجسامهم وصحة أبدانهم فهم يحتملون في هذا السبيل إرهاقاً عظيماً للنفس لانقطاعها وعزوفها عن كثير من لذائذها ومتعها، وكل ذلك في سبيل البدن الذي يضمحل ويزول يوماً من الأيام ولا يستمر سرمداً إلى يوم القيامة.

أما الروح الإنسانية فهي أبقى من الجسم، وأطول حياةً من كل ما يتعلق بالجسم الإنساني فهي أجدر وأحق بأن يهتم بسلامتها من الأكدار و الأوساخ، وأن يعتني

www.abulhasanalinadwi.org

بتصفيتها وترقيتها وتزكيتها ليكون النفع أبقى وأجلى على الإنسان.

ثم إن الروح الإنسانية ما دامت لا تصفو، ولا تطهر، لا ترتاح ولا تسعد مهما حشر لها من المتع المادية و اللذائذ الدنيوية ولا تسر ولا تبتهج أبداً مهما جمع لها من أسباب الراحة الملموسة واللذة المحسوسة، إن النفس الإنسانية إذا لم تشعر من داخلها براحة، ومن أغوارها بلذة، ومن بواطنها بطمأنينة فلا راحة لها، ولا متعة، ولا طمأنينة.

وطمأنينة داخلها وراحة باطنها لا تحصل أبداً إلا برياضة روحية، وبتربية النفس التي يفتقر الإنسان فيها إلى الزهد عن بعض رغائبه، والابتعاد عن بعض ملذاته، والهجر لبعض عوائده، وكل ذلك لزمن قصير ومدة محدودة، وذلك هو الذي يدعى عند المسلمين بالصوم فقد جعله الله نظاماً محكماً لتربية النفس الإنسانية وتزكيتها وتطهيرها من الأدران التي تعكر صفاء الروح وتوسخ صفحة النفس النقية.

وخاصة أخرى للصوم هي أنه عبادة يرضى بها الرب - جل وعلا - كثيراً، وإنه يطلب من صاحبه عزماً وشيكاً وهمةً صابرة، وذلك لأن الصائم يقضي نهاره بدون أن يشرب الماء مع أنه عطشان، وبدون أن يتناول لقمة من الطعام مع أنه جوعان، و بدون أن يغضب ويشتد على الذين يجفونه مع أنه متعب مرهق الأعصاب، ويقضي نهاره

www.abulhasanalinadwi.org

في ميل إلى الخيرات، والحسـنات، والتقـرب إلى مرضـاة الله، والابتعاد عن جميع الأعمال السيئة.

ولذلك عد الله تعالى هذه العبادة من أعظم دواعـي رضاه ورحمته فقال: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيـام، فإنّـه لي وأنا أجزي به ١ "وجاء في الحديث الشريف: "أن باباً في الجنة يسمى باب الريان لا يدخله إلا الصـائمون" أو كمـا قال عليه الصلاة والسـلام، ٢وقيـل كذلـك: "لخلـوف فـم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" ٣.

إن القيود التي يفرضها الصوم على صاحبه لا تخـرج من نطاق التربية الحكيمة للنفس وتزكيتها، والإنسان الذي يتقيد بها إلى أكبر حد ممكن يرى آثار التزكية والطـهارة في قلبه، والصفاء في نفسه لأن الإنسان لا يـأثم في أعمالـه إلا لأنه يأكل ويشرب حسبما ترغب نفسه، وكل ما تصل إليه

---

١ أخرجه الإمام البخاري في الصوم رقـم : ١٨٩٤. و رواه الإمـام مسـلم، باب فضل الصيام، رقم: ١١٥١

٢ عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النـبي صلـى الله عليـه وسـلم، قال: "إن في الجنة باباً يقال له: الرّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيقومون، لايدخـل منـه أحد غيرهـم، فـإذا دخلـوا أُغلـق فلـم يدخـل منـه أحـدٌ" متفـق عليـه. (البخاري ١٨٩٦و مسلم ١١٥٢).

٣ متفق عليه (البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١).

www.abulhasanalinadwi.org

يده بدون حذر وتفكير، ويعامل الآخرين بدون مبالاة بما يجب عليه نحوهم، ويأتي ما تحب نفسه، ويدع ما تكرهه فحسب، وهو في كل ذلك لا يرجع إلا إلى نفسه وهواه، بل يصبح ذلك عادة راسخة له، أما الصوم فيأتي ويقول لصاحبه: كُلْ في هذا الوقت، ولا تأكل في ذلك الوقت، وافعل هذا، ولا تفعل ذلك فلا يكون الصائم إذن بإزاء ذلك إلا أحد رجلين إما رجل يتقيد بكل ذلك فيتربى على السجايا الكريمة، والخصائل الحميدة، وإما رجل يتنكر لكل ذلك، وينكره أو يصوم لكن منغمساً في أكثر رغباته، غير تارك لما ألفته نفسه، ولا يحافظ على كرامة صومه، وإذن لا يكون لصومه عند الله أي كرامة أو وزن، وجاء في الحديث الشريف "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السمر"١ وجاء في حديث آخر: "من لم يدع قول الزور و العمل به فليس لله حاجة بأن يدع طعامه و شرابه"٢.

فالصوم نظام شامل كامل لتزكية النفس الإنسانية تزكية خلقية، وتربيتها تربية دقيقة قوية على حياة كريمة سامية، حياة فيها سلوك جميل، واستقامة في الخلق واستقامة

---

١ رواه ابن ملجه، باب ما جاء في الغيبة و الرفث للصائم، رقم: ١٦٩ .
٢ رواه الإمام الترمذي، باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم، رقم: ٧٠٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

في المعاملات الاجتماعية، و هذا هو السبب الأكبر في أن أولئك الذين يؤدون هذه العبادة ويخضعون لهذا النظام الفاضل يستقبلون شهر رمضان بكل حرارة وشوق ولا يحبون أن يغادرهم.

ولقد أحب الله تعالى الصوم فجعل شهره محلاً لإحسانه وفضله المزيدين فقد أنزل فيه كتابه المقدس الأخير وهو القرآن الكريم، فقد قال سبحانه وتعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}١.

وهو ليس كتاباً للعلم أو الأدب،بل إنما هو هداية للإنسانية، وشفاء للصدور، وهو مثوبة الله في الأرض، يتعلم منه المؤمن.

ثم يتوج هذا الشهر الكريم يوم عيد الفطر السعيد الذي يأتي بعده، ويسمح للمؤمن الصائم بالعودة إلى ما أباح الله تعالى له من نعم وخيرات وأكل وشرب والاستمتاع بالطيبات، وقد قال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة إلخ﴾٢.

فشهر الصوم شهر خيرات وبركات ونعمة عظيمة من نعم الله تعالى رب العالمين، فله الحمد وله الشكر.

---

١ الآية : ١٨٥، سورة البقرة.
٢ الآية : ٣٢، سورة الأعراف.

www.abulhasanalinadwi.org

الإيمان والعمل الصالح

أتى شهر رمضان كما يأتي في كل عام حاملاً لخيرات عظيمة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولالتزامات بأمور توجب علينا أن نلتزمها لما فيها من فوائد جمة لمن يؤدي حق هذا الشهر، منها تهذيب لحياة الصائم وتزويدها بالخير الإنساني والقوة الإيمانية، إنه شهر التقوى والإيمان، فيه انقطاع عن ملذات ومأكولات لفترات مقررة، وهو يحمل صاحب الصوم على الصبر والاحتمال لتقوى بذلك معنويته و يضعف هواه، ويكبت رغباته المادية، وفي ذلك يكون الصائم طالباً لرضا ربه وينال أجره في الآخرة، فإنه يصرف نفسه في النهار عن ملذاته ومأكولاته، و في آخر النهار عندما تغرب الشمس يجوز له أن يأخذ ما كان تركه في النهار، فيعود بعد الانقطاع عن المأكولات طيلة النهار إلى تناول الطعام والشراب، فيشفي بذلك غليله، وينهي صبره، وبذلك تحصل له فرحة خاصة، فرحة على الحصول على ما كان يرغب إليه، ويحصل له جزاء ذلك في الآخرة، فتحصل له الفرحة يوم يلقى ربه، فللصائم فرحتان كما

www.abulhasanalinadwi.org

جاء في الحديث الشريف: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"١ وأحب الله لعبده الصوم وجعله في أركان الإسلام الخمسة كما جاء في الحديث الشريف أن الإسلام بني عليها، ولكل ركن من هذه الأركان خصائص وميزات تملأ جانباً من حياة الإيمان في الإسلام. ومن أهم خصائصه أن الله تعالى جعله عملاً من عبده خاصاً بنفسه، يجازي عليه بصورة خاصة، فقد ورد في الحديث الشريف ذكر قول الله تعالى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به"٢ فدل ذلك على أن الله تعالى ينظر إلى هذه العبادة بنظرة أخص من غيرها، ويحبها ويرضى رضا أكثر بأن يقوم عبده بأداء هذه العبادة، ولعل ذلك لأن الصائم يصبر على الجوع والعطش، وعلى الابتعاد عن رغبات وأهواء، ويحرم نفسه من مطالب جسده وهواه الطبيعية، وذلك طلباً لرضا ربه، فإنه يقضي نهاره لمدة شهر واحد في هذا الاجتناب والصبر، وهو بعمله هذا يؤدي دوراً مهماً ذا جانبين، جانب له صلة بربه، وجانب آخر له صلة بإخوانه من البشر، وكلا الجانبين يحملان أهمية كبيرة عند رب العالمين، أن يعبد الإنسان ربه، وأن

---

١ رواه الإمام البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١، و رواه الإمام الترمذي، باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ٧٦٦ .

٢ أخرجه الإمام البخاري في الصوم رقم: ١٨٩٤. و رواه الإمام مسلم، باب فضل الصيام، رقم: ١١٥١ .

www.abulhasanalinadwi.org

يسدي إلى أصحاب الحاجة بالمعروف، أما الجانب الذي له صلة بربه فهو قيامه بالتحنث والعبادة رغماً مما في ذلك من عناء وتعب وانقطاع عما يحب من رغبات النفس، فإنه يقوم بذلك طلباً لرضا ربه وامتثالاً لأمره، وأما الجانب الذي له صلة بخلق الله فهو مشاركة الصائم مع المساكين والبائسين في حاجيات الحياة، فحاجة البائسين في مسكنتهم و بؤسهم المادي اضطرارية، فإن المساكين و البائسين هم مضطرون إلى ذلك لأسباب مادية، والصائم يحتمل ذلك ويصبر عليه باختيار منه، ومع هذه المشاركة يقوم الصائم بمساعدة هؤلاء البائسين من إخوانه وجيرانه ومجاملتهم، وبذلك تشيع في البيئة روح المودة والإخاء والودّ كما تتربى نفس الصائم على معاني الرحمة والشفقة على ضعفاء مجتمعه ومساكين عشيرته وبيئته.

فالصوم بذلك بمثابة مدرسة سنوية تتربى فيها أبناء الإسلام ويتخرجون منها كل سنة متزودين بمعاني الإنسانية والكرم، وعواطف الإسعاف والإغاثة، ومشاعر الرقة والطاعة و التوبة لله رب العالمين، و لذلك نجد أن الراغبين في تربية نفوسهم وتنشئة عواطفهم على المعاني الإنسانية الكريمة من رحمة وتعاون وإخاء ومشاعر التعبد والتحنث لله، يستقبلون هذا الشهر بكل شوق وترحاب، ويقبلون فيه على الاستفادة من روحانيته وطلب رحمة الله ومغفرته. فإن هذا الشهر بكل هذا يملك صفة مهرجان سنوي للصلاح الإنساني، كما أنه بمثابة مخيم تربوي ينظم كل عام برنامجاً

www.abulhasanalinadwi.org

للتدريب على الخصائص الإيمانية، فهو يأتي ويحمل في طيه في جانب من الجانبين أعمال الإغاثة والإسعاف للمحرومين والملهوفين، وذلك بإطعام الغرثى وإعطاء العافين ما يعوزهم، وبمعاملة الرحمة للبائسين، و إن أهم شيئ في ذلك هو أن صاحب رمضان حينما يقوم بالإسعاف والإغاثة فكثيرا ما يقوم بذلك بشعوره الذاتي وبدافعه النفسي، ولا يهمه في ذلك أن يعرف الناس عنه هذا السلوك الإنساني الخيري، بل ويرغب في أن يكون ذلك في طي الكتمان، فلا يعرفه إلا ربه، وهو يريد بذلك راحة ضميره وطمأنينة نفسه، و إنه ليشعر بعد إتيان هذا الفعل الطيب كأنه أدى ما كان عليه من دين للسلوك الإنساني، فيتخفف منه كما يتخفف مدين بعد أداء دينه، ويرجو من وراء ذلك ثوابا من عند الله تعالى، ذلك الثواب الذي وعده الله إياه لليوم الآخر، عندما لا يكون لدى الإنسان مال ولا وسيلة للحصول على مال، و يكون مجردا خاليا من كل ما يحتاج الإنسان إلى امتلاكه، فلا يكون من المأمول له إلا ما قدمه من حياته الدنيا لحياته الآخرة.

وفي جانب آخر نجد شهر رمضان بمثابة مخيم للتدريب على الخصائص الإيمانية فيجد الصائم أن مواقيت الليل والنهار في شهر رمضان موزعة على تدريبات مختلفة يتدرب بها على الرياضة الإيمانية، فأوقات لتناوله لما يجب أن يأكل ويشرب، و أوقات لما لايسمح له فيها من اقتراف لما ترغب فيه نفسه و تنجذب إليه من

www.abulhasanalinadwi.org

فحش القول والغيبة والنميمة، وتناول أعراض الناس بالإيذاء والإساءة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى توجد آداب عملية مثلاً زيادة في الصلوات النافلة، و سهر للذكر والعبادة في مزيد من الأوقات من طرفي الليل، كما يكون مقبولاً عند الله تعالى منه أن يزيد ملازمته للمسجد، ويشتغل بالتلاوة والذكر، و إن هذه الرياضات الإيمانية والمواظبة على التحنث و العبادة تبدأ من أول يوم للشهر، وتستمر إلى آخر يوم منه، و تبلغ إلى الذروة في ليالي العقد الثالث من الشهر، وبخاصة في الليالي الوتر منه، فيلتمس الصائم فيها ليلة القدر، وليلة القدر هي خير من ألف شهر، يقول الله تعالى عنها: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾١

فتدل هذه الآيات القرآنية على عظمة هذه الليلة ونورانيتها و قداستها، والتجلي الإلهي فيها، تصبح بذلك هذه الليلة في الحياة الدنيا للصالحين من عباد الله بمثابة زمان حاصل من حياة الجنة في الآخرة التي ينعم فيها الصالحون من عباد الله بالنورانية العظيمة، وبالتجلي الأعظم من رب العالمين، يصبح بذلك شهر رمضان كله مخيماً نورانيا

---

١ سورة القدر .

www.abulhasanalinadwi.org

مباركاً، وإن وصف رمضان بكلمة المخيم مطابق لواقعه، لأن حالة هذا الشهر الشعورية والسلوكية تجعله كأنه تغشاه خيمة غير مرئية من صلاح الأعمال وكيفية الإيمان، يجعله منفرداً مخصوصاً بالخيرات و الحسنات والطيبات من الحياة.

يأتي شهر رمضان بواجباته والتزاماته ليربي المسلم فيه نفسه ويمحصها من الأوضار التي لحقتها بمزاولته لمقتضيات الحياة المادية، وتحقيقه لرغباته الكثيرة التي يواجهها في مسيرة حياته طيلة العام، و بذك يخرج المسلم من هذا الشهر نقياً صافي النفس زكي الحياة، إذا ما كان قد أدى ما كان لزمه من العمل في هذا الشهر، ومجاهدته للنفس منه، وإن المسلم لمحتاج شديد الاحتياج لمثل هذه العملية التربوية كل عام ليكون مجرى حياته مجرى حياة المؤمن المحافظ على آدابه الإنسانية وأوصافه الإيمانية.

فعلينا أن نتذكر ذلك ونقضي الشهر بآدابه وصفاته وأعماله لنسير على الدرب الإسلامي الخير، ونكون مستحقين لرضا الله و لكرمه وفضله علينا نحن المسلمين، ونحن في شديد الحاجة إلى ذلك في الآونة الحالية من الزمن، بحيث أصبحنا مقصرين في أداء الواجب الإسلامي في حياتنا الاجتماعية والفردية معاً، وهذا التقصير منّا هو الذي يسبب لوقوع ما يقع في مختلف ديار الإسلام من محن وشدائد، بل و الكوارث والآفات، فإنه لابد من أن نستعرض أولاً ما نحن فيه من التقصير الذي يحول بيننا

www.abulhasanalinadwi.org

وبـين رحمـة الله وفضلـه، ثـم نسـعى للخـروج مـن هــذا التقصير، وشهر رمضان هو خير ما يذكرنا ويهدينا إلى خـير السبل لإصلاح حالنا ونيل استحقاقنا لرحمة الله تعالى، فإنـه شهر الرحمة والمغفرة والخلاص من النار، والله ولي التوفيق.

www.abulhasanalinadwi.org

الاعتكاف
مخيم تربوي وفترة للتكيف بالجو الروحاني

الاعتكاف في العشرة الأخيرة من شهر رمضان سنة لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، واتبعه فيها الصالحون والمتنسكون من أمته في أزمانهم المختلفة، ولا يزال يقوم عدد منهم بأدائه، والاعتكاف مأثور لدى الصالحين المتنسكين في الأمم السابقة أيضاً باختلاف الموعد والشكل، فقد كان المتعبدون في اليهودية والمسيحية أيضاً يقومون بذلك في قديم الزمان، فكان الرجل الناسك منهم يحصر نفسه في مكان العبادة، ويقطع نفسه عن الاشتغال بالشؤون الدنيوية، وقد كان بعضهم يهبون ابنا له لمكان العبادة، وبعضهم كان يقوم بالنذر بذلك لابن يرجو ولادته كما وقع لسيدتنا مريم والدة سيدنا المسيح عليهما السلام، فقضت حياتها منذ طفولتها في محرابها، ونالت منزلة عالية مكرمة عند الله بسبب انقطاعها إلى التنسك والعبادة بطهارة كاملة وعاطفة دينية وتعبدية عظيمة، فرفع الله مكانتها من بين نساء العالمين.

www.abulhasanalinadwi.org

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتكاف في مسجده الكريم في العشرة الأخيرة من شهر رمضان، وكان يواظب عليه كل سنة فسن لشهر رمضان سنة الاعتكاف فيتبعه في ذلك عدد كبير من المسلمين، يوفرون بذلك وقتهم لتلاوة كلام الله ولذكره وللصلوات، وينقطعون إلى ذلك طيلة الأيام العشرة، وذلك لأنه لا يسعهم ذلك بغير هذا الانقطاع في أحوالهم العامة التي يقضون فيها أوقاتهم في منازلهم وبين أهليهم، ويساعدهم في هذا العمل الجليل قيامهم بأداء الصوم الذي هو فريضة عليهم وركن من الأركان الخمسة الأساسية في الإسلام، يتركون فيه الطعام والشراب والأعمال القبيحة من الكذب والغيبة والنميمة وغيرها، وبذلك يحصل لهم صفاء في النفس، وإنابة إلى الله والشعور بالمؤاساة، وذلك يساعد كثيرا في أداء سنة الاعتكاف، ويتلاءم مع روح العبودية والنسك التي تحصل بالتلاوة والعبادة وذكر الله تعالى.

ومن هذه الناحية نرى هذه المدة من الزمن كمخيم زمني للعبادة يقضي المسلم فيه ما يسعه من بذل وقته فيما يطلب به رضا الله تعالى، فجو شهر الصيام جو يساعد في ذلك خير المساعدة، وذلك لأن القيود التي يفرضها الصوم على صاحبه لا تخرج عن نطاق التربية الحكيمة للنفس وتزكيتها، والإنسان الذي يتقيد بها إلى أكبر حد ممكن يرى آثار التزكية والطهارة في قلبه، والصفاء في نفسه، وذلك لأن الراحة النفسية والطمأنينة الداخلية للإنسان تقتضي

www.abulhasanalinadwi.org

لوجودها رياضة روحية وتربية للنفس، وذلك باختيار الزهد عن بعض رغائبه، و الابتعاد عن بعض ملذاته، والهجر لبعض عوائله لمدة من الزمن و وقت محدد، وهو أيام شهر رمضان التي هي خير نظام لذلك، يقضي صاحبه مدة شهر كامل في ذلك، وسنة الاعتكاف هي في القمة من هذا النظام حيث يحصر الإنسان فيه نفسه في مكان واحد للعبادة، فينقطع فيه عن أهله وبيئته المباشرة بمعيشته، فيكون اتجاهه إلى ربه خالصاً ومتواصلاً لمدة عقد واحد في هذا الشهر الكريم، وهذا العقد يعد من خير أيام رمضان لأنه يشتمل على ليلة جليلة تساوي ألف شهر في خصائصها وقيمتها الروحية، كما أن كتاب الله العظيم نزل فيه فزاد هذه الليلة والشهر الذي تقع فيه شرفاً وعظمة، فقد قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام، هي حتى مطلع الفجر﴾١. ويكون الصائم في هذه الليلة في اعتكافه فينهل من روحانية هذه الليلة، ويقتبس من نورها بدون حائل، تقع هذه الليلة من بين ليالي الوتر من هذه العشرة الأخيرة، وتصبح العشرة الأخيرة من شهر رمضان بذلك مهرجاناً روحياً ممتعاً، وتزدان المساجد بتواجد المعتكفين فيها

---

١ سورة القدر .

www.abulhasanalinadwi.org

و بأعمال العبادة وذكر الله التي يتوفر وقوعها فيها، ولما كان شهر رمضان نفسه مهرجاناً للعبادة والذكر فإن الاعتكاف يصبح فيه مهرجاناً في مهرجان يزداد به رونق شهر الصيام، ويكثر بهاؤه، وتفوح منه روائح الخير الرباني، وعبق الفيض الروحاني ويصبح ذلك زاداً إيمانياً و روحانياً يتزود به الصائم لأيامه الأخرى طيلة السنة من رمضانه الحالي إلى رمضانه القابل.

والمسلمون في كافة ديارهم وأوطانهم يقومون بأداء سنة الاعتكاف في عدد لا بأس به، والبلاد الهندية كذلك غير قاصرة فيه، فإننا نجد كثيراً من المساجد في مختلف أنحاء الهند تنال حظها من هذه السنة السنية، وتصبح المساجد عامرة في كافة أنحاء الهند بالمصلين الصائمين، وهم الذين يحضرون فيها بصورة كبيرة في وقت الإفطار بعد أداء صومهم في النهار مع أداء واجباتهم في الحياة لأنفسهم ولأهليهم، فيكون منظر جميل و رائع من تجمعهم في وقت الإفطار، ثم بحضورهم في وقت التراويح، أما في العشرة الأخيرة من شهر رمضان فيزيد روعة منظرهم المعتكفون في المساجد الذين يقضون غالب أوقاتهم في الاشتغال بالصلاة والتلاوة والذكر مقتصرين بحدود مسجدهم، وهم عندما تنتهي العشرة الأخيرة ويطلع هلال العيد يخرجون من هذا الاعتكاف فرحين مسرورين بنعمة الله التي أنعم عليهم بتوفيقهم للاعتكاف مترقبين لجزائهم في الآخرة، والبسمات على وجوههم، وآثار السعادة بادية من

www.abulhasanalinadwi.org

نفوسهم، فيا له من شعورهم بالغبطة و السرور في دنياهم، والفوز والفلاح في آخرتهم.

وفقنا الله جميعاً لطاعته، وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم واتباع تعاليمه، والعمل للخير والرشاد، وكتب لنا الأجر و الثواب، وهدانا إلى سواء الصراط.

www.abulhasanalinadwi.org

ليلة القدر

فرصة لمضاعفة الأجر وحافز إلى السباق إلى أعمال الخير

إن هذه الليلة المقدسة التي ندعوها بليلة القدر ذات أهمية كبيرة بين الليالي جمعاء، وهذه الأهمية ترجع إلى ما تحمله لنا من كرامة ومغفرة ورحمة، وما تحمله لنا من الخيرات الكثيرة التي دلت عليها الأحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما يروي عن المتقين والأبرار من المسلمين أنهم كانوا دائماً يجتهدون في التماسها بين الليالي التي يظنون احتمال وجودها فيها، وأنهم كانوا يكثرون في تلك الليالي من الدعاء والعبادة والتحنث، وقد أثنى الله على هذه الليلة وأعظم ذكرها وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام، هي حتى مطلع الفجر﴾١.

١ سورة القدر.

www.abulhasanalinadwi.org

أنزل الله في هذه الليلة القرآن، وجعلها خير الليالي طول العام، بل جعلها خير الليالي طول الأعوام العديدة التي تعتدل في امتداد زمانها بألف شهر، فما أكرم هذه الليلة وما أحبها إلى ربها وإلى جميع أولئك الناس الذين يتقون ربهم وينيبون إليه، إنها ليلة واحدة لاتعدو في شكلها ومظهرها وزمانها الليالي العامة الأخرى لكنها تحمل في صدرها ذخيرة كبيرة من الشرف والقداسة، وتضمن في رحابها أجواءً فسيحة من النور والهدى، ومن السكينة الربانية، ليلة ترى وتشاهد في ظاهر أمرها ليلة واحدة من الليالي لكنها في باطن أمرها وصميمها تسمو وتفوق الأيام المستنيرة الغراء، لأنه تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر.

في هذه الليلة المباركة أنزل الله القرآن وملأها ببركاته وأنواره، وجعلها موضع رضاه وقبول دعوات عباده، وجعلها معراجاً يعرج به دعاء العبد إلى الرب، وتعلو به أعمال العبادة إلى الله الشكور الوهاب، إنما يعطي الله في هذه الليلة ما يفوق الحصر ويعدو النهاية، وقد يتعب العبد فيها من الدعاء ولا يتعب ربه من العطاء، إنها ليلة خير من ألف شهر، هي ليلة يقدر الله فيها أرزاق العباد، ويقدر فيها معيشتهم ومعاشهم، كما تدل على ذلك بعض الروايات المأثورة ومن ثم سميت بليلة القدر.

لقد أحل الله هذه الليلة المباركة في شهر رمضان وهو نفسه شهرمبارك ميمون، يحمل في صدره خزينة عامرة

www.abulhasanalinadwi.org

من الحسنات والبركات والرحمة والمغفرة والرضوان، تفتح فيه أبواب الجنان وتصفد فيه الشياطين والجان، فكان اشتمال شهر رمضان على هذه الليلة المباركة السعيدة كرماً على كرم، ورحمةً على رحمة، وسمواً على سمو، وقراناً سعيداً، واجتماعاً مباركاً.

إن ليلة القدر من السماء أنزلها الله تعالى في أرضنا وزمن ملائكي منحه الله تعالى إيانا نحن البشر لنسعد به ونحن في هذه الدنيا مع أنه من ذلك العالم المقدس.

وما خص الله تعالى هذه الليلة من بين الليالي الأخرى، وجعلها ظرفاً من القداسة والكرامة والسمو إلاّ لأنه يريد بذلك الكرامة لهذه الأمة الإسلامية، فلم تكن هذه الليلة المباركة بما فيها من ثروة فائضة من الرحمة والبركة في زمن نبي آخر أو عند أمة أخرى غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك هو أن أعمار الناس في الأمم الغابرة كانت طويلة شديدة الطول فكان كل واحد منهم يستطيع أن يعمل كثيراً ويكسب بذلك خيراً كثيراً فلما نقصت الأعمار وتقاصرت الآجال، وصعب على العاملين والعابدين أن ينجحوا في إحراز الحسنات الكثيرة في أعمارهم القصيرة، وفي البلوغ إلى الدرجة القصوى من العبادة والتحنث التي كان السابقون يبلغون إليها لاستطالة أعمارهم، رحم الله عباده وخص لهم هذه الليلة بنزول رحمته ورضاه في كثرة وعموم لتكون عوضاً عن ذلك النقص، فقد روى مالك عمن يثق بقوله من أهل العلم: "أن رسول الله

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أنهم لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة خيراً من ألف شهر".

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإكثار من الدعاء و الاستغفار في هذه الليلة، وأخبرنا بالبركات الكثيرة والرحمة التي تشتمل عليها، وحض الناس فيها على المسابقة إلى طلب رحمة الله وجنته التي عرضها السماوات والأرض التي أعدت للمتقين، ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتباعه في الإنابة إلى ربهم والرجوع إليه في هذه الليلة على وجه خاص، و دلنا على الدعاء الذي يناسب هذه الليلة بوجه خاص وهو "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني "١.

والغاية من ليلة القدر هي أن يعبد العبد ربه بأكثر ما يمكنه أو يسعه، ولذلك لم يدل على مكان ليلة القدر من بين الليالي دلالة واضحة، بل إنما أعطي المسلمون في هذا الصدد إشارات غامضة لا يمكن البت بها بأنها توجد في كذا من أيام الشهر بيد أنه قيل إنه يجب التماسه في العشرة الأخيرة من شهر رمضان، ولو أن بعض الروايات الأخرى تقول كذلك بأنها توجد في غير هذه العشرة،

١ رواه الإمام الترمذي باب فضل سؤال العافية والمعافاة رقم: ٣٥١٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

ويعضها تقول إنها توجد في شهر آخر غير رمضان، والفائدة من ذلك هي أن يكثر العبد عبادته وابتهاله في ليالي وأيام كثيرة وهو يرغب بذلك أن يصادف عمله ليلة القدر.

وتأثير ليلة القدر كبير وعظيم في صرف عناية الناس إلى الإنابة إلى الله، وطلب رضاه، والاشتغال بالدعاء والتوبة والاستغفار، فإن خصائصها التي أبانها صاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وسلم لتستطيع أن تملأ النفس بالرغبة الطامحة إلى الانتفاع بها والاستفادة منها، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[١] فالذي يسمع ويعلم أن العبادة في ليلة القدر تستطيع أن تذهب بكل ما جنته يدا الرجل من المعاصي وما اقترفته من الآثام، فلا ريب أنه يشتاق ويرغب إلى محو ذنوبه ومآثمه لأنها وإن كان الرجل قد اقترفها لكنه حينما كان يقترفها لم يكن يرضاها، ولم يكن يحب أن يأتي بها، وما كان جناها إلا لأنه انجرف في تيار بعض العوامل المادية نحو الانقياد لهواه والاتباع لشهواته فهو بعد أن يصحو عنها يحب دائماً أن تنقى صفحة أيامه ولياليه من وصمة هذه السيئات، ولذلك

---

١ رواه الإمام البخاري، باب من صام رمضان إيماناً و احتسابا و نية رقم: ١٩٠١، ومسلم رقم ٧٦٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

ينتهز كل فرصة لطلب محوها، وإن ليلة القدر بعد ما اتضح أنها تحمل من مغفرة الذنوب وقبول توبة العبد واستجابة دعواته والعفو عن سيئاته إمكانيات كثيرة لا يمكن أن يسمع بها العبد إلا ويجتهد للإفادة من هذه الليلة، والتناول من ذخيرتها الكبيرة المشتملة على الرحمة والبركة والمغفرة.

فليلة القدر لنعمة جليلة ومنحة عظيمة أنعم الله تعالى بها علينا، يجب علينا بإزائها أن نقدرها حق التقدير، ونؤدي ما علينا نحوها من واجب، ونفيد مما فيها من كنوز الرحمة والكرامة والبر، فإنها تعطينا الشيء الكثير، لأن الله تعالى طبعها على سخاء روحي كبير و جود سماوي عظيم، إنها تعطينا وحدها ما لا تعطينا ألوف من الليالي بأجمعها، وجعلها وسيلة من أقوى الوسائل للميل إلى الله، وطلب مرضاته ورحمته، وطلب العفو عن الذنوب، والتقرب إليه فإنه قريب مجيب.

www.abulhasanalinadwi.org

انقضى رمضان

انقضى شهر رمضان بحول الله و قوته، و صامه رجال مؤمنون من الذين يخافون الله و ينشدون رضاه، ومن الذين لم تخل هذه الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل المبسوط منهم ، وهؤلاء هم أفراد تلك الطائفة الورعة التقية الشهمة التي قدمت بأحوال حياة أبنائها أسوة رائعة من الورع والتقوى، والصفات الإنسانية النبيلة، وصاروا بذلك قوة للإسلام، ونموذجاً رائعاً لهذا الدين العظيم، ونجد بجنب هذه النخبة الطيبة من أهل التقوى وإخلاص العمل لله طائفة متكاسلة مقصرة في أداء واجباتها الدينة قطعت الشهر بدون الصيام، وأداء الفريضة، لأعذار طفيفة من حرّ و تعب، وقد عاشت هذه الطائفة في كل زمان، و دأبت على التلاعب بالدين، و الاستهانة بكرامته، و على الإضاعة لمجد الإسلام ، و الإهدار لشرفه، و الاستضعاف لأمره، منها من لم يقم للإسلام قيمة ولم يحاسب للدين حساباً، أترف في الحياة الدنيا فنسي ما فرض الله عليه من الشكر لآلائه ونعمائه، و استهوته الشياطين، و سحرته

www.abulhasanalinadwi.org

الدنيا، فأخلد إلى إغفاءة طويلة وسبات عميق، و منها من استضعف نفسه، و استهان بقوته، ولم يلتمس في قلبه همة، و لم يفتش في صدره عن عزيمة، و لم يتشجع لجهد و لا عمل، و لم يعل إلى مروءة، و شهامة، تغافل عن واجبه، وانحرف عن الله كما ينحرف الجبار المارد، إنه من أولئك الذين هم أصحاب النفوس الواهنة، و ذوو الهمم المنهارة، و العزائم المتداعية خصوصاً في الدين، لا يتحملون مسئولية تكلّفهم أدنى جهد، و تفرض عليهم أدنى عمل، ينحرفون دائماً عن الطاعات، و العبادات، و يتلمسون الأعذار، و يتسللون لواذاً، و ما أصدق في أمثالهم كذلك قول سيدنا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - حينما خطب جنده المتباطئ عن الجهاد "يا أشباه الرجال و لارجال، و يا عقول ربات الحجال، ويا طغام الأحلام، فإذا كنتم تفرون من الحر و البرد، فأنتم من السيف أفر، و توعد الله سبحانه أمثالهم بقوله ﴿قل نار جهنم أشد حرا﴾[1] هؤلاء الذين يحاسبون لحر الدنيا الخفيف كل حساب، و لا يحاسبون لحر جهنم أقل حساب، و لا يأتون الصلوة إلا و هم كسالى، و لا ينفقون إلا وهم كارهون، يتخلفون دائماً عن أداء الواجبات، يتثاقلون عن أداء الصوم في الحر، ويتثاقلون في الشتاء مثله على السواء.

---

[1] الآية : ٨١، سورة التوبة

www.abulhasanalinadwi.org

أما أصحاب الهمم العالية و ذوو نفوس كبيرة فيسبقون في كل معركة، و لا يخافون إلا الله، لا يكسرهم الآلام، ولا يمنعهم حر، و لا يردهم برد، ولا تلويهم شدة، و لا يروعهم هول، مثلهم كمثل المؤمنين مع طالوت، إذ ابتلاهم الله بنهر، فلم يشربوا منه إلا قليلا، فلما قال الناس ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت و جنوده﴾ قالوا ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله و الله مع الصابرين ﴾١ هؤلاء هم الأقوياء الذين يؤدون الواجبات في البرد القارس، والقيظ المتقد، تحت وطأة الثلج و البرد، كما تحت الشمس المحرقة.

انقضى شهر رمضان في هذا العام، كما كان ينقضي في كل عام، و لم تكن وطأة الحر فيه إلا كسابقها في الأعوام المنصرمة، لكن توفيق الله سبحانه هو الذي حض النفوس، و أيد العزائم، فصام من صام دون أن يعبأ بالتهاب الشمس، و لفح السموم، ودون أن يكترث للجهد و القسوة، و ليس رمضان الصيف جهداً كله، و تعباً كله، بل لذة كذلك، و متعة و نعمة، وعذوبة، و نعيم و شفاء، يبعد عن المفاسد التي تنشأ من سوء الهضم، و انحراف الغذاء، و يفرض على الرجل التحوط والاتقاء، و يصون عما يجره إدمان الأكل و الشرب من المصيبة و البلاء على أن

---

١ الآية : ٢٤٩. سورة البقرة.

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسان حريص عليهما، دون أن يشعر بـالضرر، أو بمـرارة المغبة، و الله هو يحفظه و يحرسه، و له معقبات من بين يديـه و من خلفه يحفظونه من أمر الله.

و المتعـة الكبـيرة، و اللذائـذ البالغـة، و الارتيـاح العظيم، الذي يحصل عند الإفطار، بعد الصـبر و العـزوف عن رغبات الطعام و الشراب، يكاد يفقـد في أيـام أخـرى، حتى إن إفطاراً واحداً يتضمن من اللذة و الراحة و البـهاء ما لا يتضمنه طعام جميع الأيام و الليـالي، في العـام كلـه، و ذلك ما لا يعلمه إلا من حظي به، و سعد بلذته، قال النـبي صلى الله عليه وسلم، "للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، و إذا لقي ربه فرح بصومه"١ حتى إن بعـض النـاس ممن لا يبتغون الآخرة يصومون كذلك لتحصـل لهـم متعـة الإفطار هذه، و يهتمون بذلك اهتماماً زائداً.

إن كثيراً مـن النـاس يريـدون أن لا يعـاودهم هـذا الشهر كذلك من الشدة و الجهد أدنى مقدار، و يبغـون أن يستوي لهم الصوم و غير الصوم، حيث الراحـة و الشـدة، فلا يحسوا ظمأ، و لا يشـتهوا أكـلاً، ذلـك يرجـع إلى سـوء تفهمهم، إذ ليـس رمضـان إلا ليكـون حـاجزاً للحريـة في الأكل و الشرب و المتاع ليتنازل الغـني طيلـة الشـهر عـن

---

١ أخرجه الإمام البخاري في الصوم، رقم الحديث: ١٩٠٤، و مسلم رقـم: ١١٥١.

www.abulhasanalinadwi.org

برجه العاجي من حياة نعمة و ترف، و يدخل في حظيرة الفقراء الذين ربما تمنعهم أحوالهم عن تناول وجبات الطعام دوماً، و يحس بألم الجوع و لوعة الظمأ، و لو عنده من المال ما يبعدهما، و يكفيه إياهما مثل من يحس بهما و ليس عنده من المال ما يكفل له الطعام و الشراب، إنما يستطيع أتباع الإسلام بالصيام أن يصبحوا متآهلين في ظرف شهر واحد وهم مختلفون في حالة المعاش، و حياة الاقتصاد، و ما أروع الاستغناء إذا كان مع احتياج وقدرة، وما أعظم الاتقاء إذا كان مع شهية و قوة.

يصوم المسلمون فيتحدون جميعاً في المشاعر، و يتعادلون في البأساء و النعماء، و يتظاهرون بوحدة الظروف و الأحوال، و إنه امتثال لأمر الله تعالى في أشق عمل، و أجهد عبادة، و لذلك قيل، "من صام رمضان إيماناً و احتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر"[١] وقال الله تعالى فيه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.

"إلا الصيام فإنه لي و أنا أجزي به"[٢]

قضى المسلمون هذا الشهر المبارك بشيء من الغبطة و السرور، و بشيء من الجهد و التعب، فلما

---

١ رواه الإمام البخاري، باب من صام رمضان إيماناً و احتساباً و نية رقم: ١٩٠١، ومسلم رقم: ٧٦٠.

٢ أخرجه الإمام البخاري في الصوم رقم: ١٩٠٤، ومسلم رقم: ١١٥١.

www.abulhasanalinadwi.org

أكملوه تسعاً و عشرين، أو ثلاثين يوماً استشرفوا و تطلعوا إلى راحة تعقب ذلك، و نعمة تليه، و مشاعرهم مزيج من الألم و الرضا، و الإعراض و الميل، و الإباء و الحب، وخليط من السرور و الكآبة، والفرحة و الاهتمام، و ذلك لانقضاء سعادة الصوم في ناحية، و هجوم فرحة الإفطار في أخرى، تطلعوا إلى الهلال، و ارتفعت أنظارهم له إلى السماء، ليتوخوا جزاءهم، بعد اشتغالهم طيلة شهر، ويدركوا جائزتهم وهو يوم العيد بعد ثلاثين يوماً من الصيام، و فرحة يوم العيد بعد قسوة أيام رمضان.

و طلع الهلال هلال العيد البهي الجميل فضي اللون، ضئيل القد، رائع المنظر، نقي الثوب، كأنه بُلَّ بالندى، و طيب بروائح العنبر، و إلى مثل هذا يشير عبدالله ابن المعتز بقوله.

انظر إلى حسن هلال بدا
يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجى نرجسا

و إن الشعراء الذين لهم أحاسيس مرهفة، و مشاعر لطيفة ليدركون هذا الكرم الأصيل في هلال العيد، حينما يعقب رمضان، وهو شهر العبادة و التلاوة، و العزوف عن شهوات النفس في الشراب و الطعام، و غيره، و بذلك يعظم العيد في نفوس الصائمين، و يعذب عذوبة بالغة، يرون كل شربة و أكلة طيلة نهار العيد نعمة لا تضاهيها

www.abulhasanalinadwi.org

نعمة، و لا غرو وهي التي كانوا حرموا أنفسهم إياها طلباً لرضى ربهم، وسعادة حظهم في الآخرة، وهم يعودون إلى تلك النعم، و إلى تلك الحرية من جديد فيشعرون كما أنها خلقت لهم لأول يوم، وعادت إليها لأول مرة، وقد كسبوا ما كسبوا من فوز و فلاح، و سعادة خالدة، و فتحوا ما فتحوا من أبواب الجنان، خصوصاً باب الريان ١، الذي لم يكن ليفتح لهم إلا بأداء الصوم في رمضان، فلا ريب أن عيد الصائمين من ألذ أعياد الدنيا، و فرحة الصائمين عند الإفطار من أعذب الأفراح في الحياة.

انقضى رمضان الذي يرجو كل صائم فيه من عند الله ثواباً و أجراً حسناً، و يذكر اللذائذ التي كان الله قدرها له، و المتع التي لا يعلل بها كثيراً من النعم، إنه ابتعد عنه عاماً و نأى عنه لمدة تمتد أحد عشر شهراً و لم تبق عنده الآن منه إلا الذكريات من العبادة و العزوف عن السيئات، و ذكريات الأمل و الدعاء، و ذكريات الصبر عما تشتهيه البطون، و تحن إليه الحلوق، و ترغب فيه النفوس سحابة

١ عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن في الجنة باباً يقال له: الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد، متفق عليه (البخاري ١١٩٦ ومسلم ١١٩٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

النهار، فإذا جن الليل، و اختفت الشمس فرواء و سقاء و غذاء، وتناول ما أحل الله من رغبات و طيبات، و هو الذي قال ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق﴾١

ثم جاء يوم العيد بحبور و سرور، و فرحة و انطلاق، و زينة و طيبات، فهو يوم مشهود، يوم رائع محمود، ثم انقضى ذلك اليوم كذلك، و لم يبق إلا الذكريات، و أصبح من صام و قام و صبر و شكر سواء، ومن لم يصم ولم يقم ولم يصبر و لم يشكر، تلقى هذا الأول الشهر بما يجب و يحسن، فأدى حقوقه، وتمتع ببركاته، و تزود منه لآخرته، و أما ذلك الأخر فتلقى الشهر كالميت لم يشعر به، و لم يستقبله و لم يحترمه و ما جاء به، و تلقى العيد كالميت كذلك، لا يلمس فيه السرور و الحبور، فإذن لم يحصل له من النعمة إلا قليل كما أنه لم يكسب من الحسنة إلا قليلا أو معدوماً.

١ الآية: ٣٢، سورة الأعراف.

www.abulhasanalinadwi.org

بين العيد و المناسبات الدينية الأخرى

إن المناسبات الدينية في الإسلام ليست مناسبات دينية بالمفهوم الذي نجده في أتباع الديانات الأخرى غير الإسلام بحيث يؤدونها كتقاليد فرح أو حزن ثقافية، بل إنها تحمل في الإسلام في طيها مشاعر المؤاساة الإنسانية و الأخوة المتبادلة بين أهل الإيمان من بعضهم مع بعض، و تحمل شعورا تعبديا، و أداء شكر لرب العالمين على ما خول عباده من نعم و خيرات، تشتمل عليها هذه المناسبات، كما نجدها في مناسبة الصيام، و فيما يعقبها من مناسبة عيد الفطر، ثم فيما يأتي بعد شهرين منه من مناسبة لعيد الأضحى، فإنها كلها تعطي شعورا بالرحمة و المؤاساة بين العباد، و تعطي شعورا تعبديا من عباد الله لربهم رب العالمين.

وتحمل هذه المناسبات ذكريات لأعمال عظيمة قام بها أنبياء الله تعالى ـ عليهم السلام ـ في حياتهم الإيمانية الكريمة، و بذلك أصبحت هذه المناسبات لا تبعث في نفوس العباد روحا ثقافية وحدها، و لا روحا تعبدية وحدها،

www.abulhasanalinadwi.org

بل و تبعث كذلك على ذكرى لما حدث في الماضي من أحداث إنسانية و تعبدية جليلة، تحمل المؤمنين على التأسي بها و اتباعها.

أما رمضان هذا الذي يشتمل على الصيام و القيام لله تعالى بالعبادة و الذكر فيتسم - بصورة خاصة - بخصائص فيها إظهار عواطف الرحمة و التآخي، فهو يصبح بهذه الأعمال زمناً يتربى فيه الصائم على الشعور العملي المخلص بضعف الضعفاء و مسكنة المساكين و حاجة الفقراء، فيلجأ تلقائياً إلى إحياء مشاعر التآلف معهم، و يشعر في نفسه بميل طبيعي إلى مؤاساتهم، و ذلك بنتيجة قضاء مدة شهر كامل في جو ملائم لذلك. أما بالنسبة إلى ذكرى الأحداث الجليلة فقد زان الله تعالى هذا الشهر بوقائع هي من أعظم أحداث السرور و الاعتزاز لأهل الإيمان، و هي أولاً ذلك الفتح المبين الذي حصل في موقعة بدر التي بدأ المسلمون بها تاريخ انتصار الحق على الباطل، و بداية عزة أهل الإيمان و جلالة شأنهم، ثم مناسبة دخول أهل الإيمان في مركز العبادة و قبلة العبادة و هو البلد الأمين مكة - زادها الله تعالى شرفاً و كرامة - كما أن الله تعالى جعل ليلة من ليالي هذا الشهر الكريم ليلة هي خير من ألف شهر في بركتها و أجر المستفيد بها، فقد أنزل فيها كلامه الإلهي المجيد المبارك الخالد لهداية الناس إلى يوم القيامة.

www.abulhasanalinadwi.org

على كل فإن أعمال العبادة و أداء آداب الصوم تلقي في قلوب أصحابها رقة في العاطفة، و تقديراً للضعفاء و المحرومين ممزوجة بالروح التعبدية، و ربما تساعدهم في صبغ حياة أصحابها بصبغة الرأفة و الرحمة لطول السنة، و بذلك كله نجد أنه حينما ينتهي هذا الشهر تمتلئ نفوس الصائمين ببهجة كبيرة و سرور عظيم، سرور ليس سروراً دنيوياً عاماً، بل إنما هو شعور مزدوج في نطاقيه الفردي و الاجتماعي، و أكبر شيء يكون فيه أنه إظهار للشكر لرب العالمين على توفيقه لأداء أعمال هذا الشهر رغم ما تحمله من قسوة بسبب انقطاع عن الرغائب طيلة النهار في جميع أيامه، و على توفيقه للصائمين على ما تيسر لهم من إيجاد التقارب في المشاعر مع الضعفاء بالنسبة إلى وسائل الراحة و الرفاهية في الحياة، و بذلك كله يصبح يوم عيد الفطر السعيد الذي يعقب هذا الشهر الكريم يوم سرور و بهجة عظيمة، لأن هذه البهجة إنما تأتي بعد معاناة اختيارية لمدة شهر، فالمسلم الصائم حيثما تنتهي فترة تدريبه الإنساني الأخوي الكريم هذا، و يأتي يوم خروجه منه بسرور يخرج صباح يوم العيد في جمهرة من إخوته المسلمين إلى المصلى ليؤدي صلاة الشكر لربه مع جموع محتشدة من أمثاله، فإنه يواكب موكباً إنسانياً حاملاً لمشاعر الإنسانية و الأخوة الكريمة، و يؤدي صلاة الشكر، ثم يرجع إلى أهله و يتلاقى طيلة اليوم مع الأصدقاء و الجيران متبادلاً معهم مشاعر السرور و الابتهاج.

www.abulhasanalinadwi.org

فالعيد بذلك يصبح عيداً شاملاً حافلاً رائعاً، قد لا يوجد عيد في أمة أخرى مثله، لأن الأعياد في جميع الملل و الشعوب الأخرى لا تتجاوز من كونها مناسبات ابتهاج متكلف، و لا تكون وراءها معان كريمة إنسانية شبيهة بالمعاني الإنسانية التي توجد وراء عيد المسلمين، فإن عيدهم عيد على النجاح في التدريب الإنساني الكريم الذي تلقاه المسلم طيلة شهر، و عيد على أداء ما يرضى به ربه من عمل صالح تعبدي عظيم، و عيد لذكرى الوقائع التاريخية الخالدة لأمة الإسلام، و عيد لذكرى نزول كلام الله المجيد في ليلة من ليالي شهر الصيام هذا الكريم، و عيد للقاء تلك البركات العظيمة التي تحصل في ليلة القدر من لياليه و هي ليلة خير من ألف شهر، فيا لها من بركة و نعمة و عزة و شرف يحصل كلها بقضاء هذا الشهر المبارك و استقبال فرحات عيده السعيد.

www.abulhasanalinadwi.org

العيد والعالم الإسلامي

احتفل العالم الإسلامي بجناحيه العربي وغير العربي بعيد الفطر السعيد في أيام مختلفة حسب ثبوت رؤية الهلال في مختلف البلدان، وهو أحد العيدين اللذين عوضهما الإسلام للمسلمين عن الأعياد المختلفة التي كان يحتفل بها قبل الإسلام، وهما أكثر الأعياد نزاهة وطيباً وأكثرها علاقة بالمجتمع الإنساني، ومؤاساةً بين الأعياد التي يحتفل بها في العالم اليوم. إنه عيد يجمع في الاحتفال به الصبغة الدينية وهي العبادة والشكر لله، والصبغة الاجتماعية والمساواة البشرية.

إن العيد في جوهره بالإضافة إلى كونه رمزاً للشكر للخالق على نعمائه التي خلقها لعباده، وتعبيراً عن عبدية الإنسان لربه أكبر عرض للوحدة البشرية في جميع مناحي الحياة العامة والخاصة من الحياة الفردية إلى الحياة الاجتماعية، وتغطي رسالته جميع مرافق الحياة التي لا تفرق بين حاكم ومحكوم وبين سيد ومسود.

www.abulhasanalinadwi.org

إنه يبرز ويمثل نواحي الوحدة التي يرتبط بها الكيان الإنساني، ويتكون بها المجتمع البشري من وحدة العقيدة، و وحدة الكلمة،ووحدة الفكر، ووحدة العبادة، و وحدة العمل والأخـوة، و روح المؤاسـة والمسـاواة بـين مختلـف طوائـف وطبقات الإنسـانية الاصطناعيـة الـتي تقـوم علـى أسـاس مسـتوى المعيشـة والحالـة الاقتصاديـة والمسـتوى الفكـري السياسي والعلمي، فتزول هذه الفوارق يوم العيـد والأيـام المتتالية، فعندما يقوم المسلمون بتأدية الصلاة فإنهم يمثلـون بها أعظم وأمثل دور لمساواة البشرية والخضوع أمـام قـدرة الخالق.

وقـد كـانت حيـاة السـلف الصـالح تطبيقـاً لـروح الصلاة فكانوا صفاً واحداً وقلباً واحداً راكعين وسـاجدين، في العسـر واليسـر، في الغنـى والفقـر، في الغلبـة والمحنـة، خاشعين لله منيبين إليه.

وقد جرد العيد كأعياد أخرى في العالم عن جوهره و روحه وعن ميزته، فعاد العيد يوماً من أيام المباهاة والتفـاخر في الملبس والمأكل، إنه الآن عيد للأمـراء والرؤسـاء، وعيـد للفقراء والمساكين، عيد اللاجئين وعيد الملوك عيـد يحتفـل به في الخيام والأكواخ بوجوه تلـوح عليـها ملامـح البـؤس والشقاء والتعب عن الحياة والحرمـان، وعيـد يحتفـل بـه في القصور و في حفلات متعة وملا هي بوجوه الترف والنعيم والغنى الملهي بأمارات الغطرسة والكبرياء.

www.abulhasanalinadwi.org

فمن الناس من يكتفي في العيد بإرسال بطاقات العيد حاملة صوراً مغرية، ومبرزة لنواحي الترف والترفع، ومنهم من يقضي اليوم كعيد من الأعياد القومية بتفادي الناحية الدينية والصبغة الأساسية في جو الاستياء بالقيم و روح الدين ومظاهره و قداسته.

نحتفل بالعيد و ألوف من إخواننا معذبون على الأرض بأيدي إخوانهم في الدين واللغة والقومية، واللون والجنس، ونحتفل بالعيد والمقدسات الدينية تهان ويزدري بها بأقلام وألسن من ينتمون إلى أمتنا بحكم السلالة والعرق والقومية، ونحتفل بالعيد و قطعات واسعة من أراضي البلاد الإسلامية محتلة ومنتزعة عن البلد الأم نتيجة وعاقبة للسياسة الخرقاء، وألاعيب من يتولون الحكم بالمؤامرات والثورات ضد الشعب، والجماهير الإسلامية، والتضليل والتكذيب والتلفيق، نحتفل بالعيد و الأمة العربية تمر بأقسى تجارب التاريخ وأسوأ فترات المحنة القومية مهددة من كل جانب من الاستعمار الصليبي و الاحتلال الصهيوني الغاشم، والإرهاب والاضطهاد الداخلي والاستخفاف بالدين والتحريف والوثنية والبدع و الاستغلال والإباحة المطلقة.

إن الكلام عن الوحدة في الاحتفال بالعيد هو بمثابة الكلام عن وحدة قمر وشمس وكواكب في مثل هذه الأرضية التي تعيش فيها الأمة الإسلامية، فما دامت هذه الأمة الحنيفية موزعة ومتفرقة بسبب قيادات التفريق

www.abulhasanalinadwi.org

والتشتيت، ومضطهدة بسبب إرهاب قوى الإرهاب والتعذيب والتخريب داخل الوطن الإسلامي، والطبقة الصالحة المخلصة من الأمة معرضة لعملية العزل والإبعاد عن مواقع النشاط والنفوذ، وما دامت تخيب كل محاولة لتوحيد الصفوف وإنشاء قوة جامعة متوسطة، لا تقدر أجنحة هذه الأمة المشتتة والمكسرة المنتشرة في مختلف أنحاء العالم على التكاتف والتعاضد والتجمع لتصبح قوة قديرة على تقرير مصيرها ومواجهة الخطر المحلق.

فالعيد أطيب مناسبة للتعهد على تحقيق أهداف الإسلام وتعاليمه، وعلى العزم لإزالة الفوارق الاصطناعية التي يحتفظ بها كل مجتمع يقوم على أسس وضعية في العالم، والعيد أهم مناسبة لمحاسبة النفس وتأنيبها على الأخطاء التي صدرت في الماضي، وللدعاء إلى الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه وهو الموفق للخير.

www.abulhasanalinadwi.org

الحج
و
عيد الأضحى

www.abulhasanalinadwi.org

الحج
مشهد عظيم من مشاهد المحبة والإيمان

مشكلة العالم الإسلامي ليس في العدد والعتاد وإنما تكمن في فقدان أخلاقيته وعواطفه الإيمانية.

الحج مشهد عظيم من مشاهد المحبة والهيام في الذات الإلهية المقدسة، يبرز فيه العبد المؤمن في حالة التبتل والفداء لربه، ويهيم بمشاعره ويمتثل أوامره ويظهر الحب الرقيق لكل ما له صلة بذاته،فهنا يطوف وهنا يسعى وهناك يخرج من لباسه المدني، ويتجرد من علائقه بحياة الاستقرار والإقامة بوقوفه في فلاة بعيدة عن التمدن والعمران، يبرز إلى ربه متبتلاً ملبياً يقول "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لاشريك لك"١

١ رواه الإمام البخاري، باب التلبية، رقم: ١٥٤٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

مظاهر من الحب والإيمان والفداء، من جماهير حاشدة يقوم أفرادها بإظهار معاني الحب والوفاء والفداء، مشهد عاطفي وإيماني رهيب يملأ القلب رعباً وجلالاً.

يأخذ كل مشاهد لهذه المناظر الخلابة من مشاعر الحج فكرة مماثلة لما بينته آنفاً، وحق له أن يأخذ هذه الفكرة، فإن جمال المشهد وجلاله وتأثير الموقف وروعة الحركة في أعماله ونشاطاته كله يجدر به أن يوجد في نفس المشاهد مثل هذه الانطباعات الجليلة، وكل من يرى هذه الجموع المحتشدة من المسلمين مظهرة لأعمال الحب والإيمان والفداء يحسب حسابها، ويجد في نفسه شعوراً خاصاً لعظمتها وقيمتها.

هذا في الظاهر، أما إذا تحلى هذا الظاهر بباطن قوي أصيل فما أعظم شأنه وما أجل قيمته،! لقد كانت هذه المظاهر جامعة في العهد الأول بين خيري الظاهر والباطن فكان المسلمون أقوى بكثير مما صاروا إليه فيما بعد، أما الآن فهم مع كل هذه المظاهر الخلابة غثاء كغثاء السيل لا وزن لهم في كفة السياسة العالمية، وذلك لأن باطنهم في أغلب صوره أصبح منخوراً، ولعل هذه الحالة هي الحالة التي أشار إليها رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام والتسليم في حديث له عن كثرة المسلمين في الزمن الأخير "لكنكم غثاء كغثاء السيل"١ وقد تعجب المسلمون في

١ سنن أبي داؤد، باب في تداعى الأمم على الإسلام، رقم : ٤٢٩٧

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك العهد من هذا المثل لأنهم لم يعرفوا من المسلمين ضعفاً ولا خوراً، فقد كان المسلمون يحرزون الانتصارات و الفتوح رغم قلتهم في العدد و فقرهم في العتاد،وكون أعدائهم في عدد أكثر، وفي عتاد أقوى، ولكن المسلمين كانوا أقوى في الإيمان والفداء.

والإيمان يصنع المعجزات، والفداء يمهد طريق النجاح و الانتصار، لقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أبناء الإسلام أن يكونوا أوفياء لعقيدتهم، متحلين بالإيمان مستعدين في ذلك لكل تضحية وفداء، ولم يكن تعليمه لهم بذلك مجرد تعليم، بل إنما رباهم على ذلك تربيةً و دربهم تدريباً، فأصبحوا مثل الفولاذ عندما يكونون في الأعداء، ومثل الحرير عندما يكونون في الإخوة والأصدقاء، وذلك مصداق قول الله سبحانه وتعالى في وصف المسلمين ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ١ وبسبب هذه الصفات الكريمة كان ينالهم ما ينالهم من ربهم من عزة ونصر، فلقد ذكر الله سبحانه وتعالى انتصار بدر بقوله ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾. ٢

وذكر معركة الأحزاب بقوله سبحانه وتعالى:

---

١ الآية : ٥٤، سورة المائدة.

٢ الآية : ١٢٣، سورة آل عمران

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾. ١

وامتلأ التاريخ الإسلامي بعد ذلك بأمثلة كثيرة نزل فيها نصر الله على المؤمنين وأعطاهم الله الغلبة والانتصار على أعدائهم مع أن المسلمين كانوا في قلة وكان أعداؤهم في كثرة، ثم تغير الحال وكثر العدد فما نفع المسلمين عددهم الكثير بعد أن كانت قلتهم لاتضرهم، وذلك لأن الذي كان يأتي به نصر الله لنا قد انزاح عنا وفقدنا الإيمان الذي نستحق عليه نصر الله و إعانته، فأصبح وضعنا أمام أعدائنا كوضع الرقيق أمام السادة، أو التلاميذ أمام الأساتذة.

وهذه قصة العالم الإسلامي كله من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، شعوبه كلها منخورة من باطنها، منقادة لسلطان الأجانب، في الفكر والأخلاق والسياسة، وليس لديها الآن ما كان يخصها، وما كانت تمتاز به، وما تقتبس منه قوتها و روحها في تاريخها المجد القديم.

---

١ الآية : ٢٢، ٢٣، ٢٤، سورة الأحزاب

www.abulhasanalinadwi.org

لقد انزاحت عن المسلمين أخلاقيتهم الإسلامية وتغير حالهم تغيراً عجيباً، ونحن نرى آثار هذا التغير والانقلاب في مختلف جوانب حياتنا، فقد قوي الكفر في بلدان الإسلام، وقوي دعاته وأبناؤه في كل مكان من العالم الإسلامي، والمسلمون في خذلان ومهانة.

وما يظهر صوت للكفر و الإلحاد إلا و يغزو و يحاط بسياج من القوة والثقة، وما يظهر صوت للحق و الدين إلا و ينتقد ويقمع.

إن زمام قيادة الشعوب الإسلامية اليوم ليس في أيدي أبنائها مهما ظهر أنه في أيديهم، وليس اتجاهها السياسي والاجتماعي والأخلاقي إلى ما تقتضيه مصلحتها مهما ظهر أنه حسبما تقتضيه وموافق لأغراضها، إن زمام سياسة هذه الشعوب وحياتها في أيدي الغرب وهو الذي يسوقها ويوجهها إلى أي جهة تقتضيها مصلحته.

وإن مشكلة العالم الإسلامي اليوم ليست في العدد أو العتاد ولا في المساحة والبلاد بل إنها في أخلاقيته القديمة التي قد فقدها، وفي الإيمان القديم الذي أضاعه، وفي الوفاء للإسلام والقيمة الجيدة التي خرج منها، وفي شخصيته الإسلامية التي نزعها عنه.

يجب علينا أن نعود إلى شخصيتنا و إلى معنويتنا و إلى أخلاقيتنا، ويجب أن نداوي أنفسنا بالإسلام حتى يمكن لنا أن نعود إلى مجدنا وقوتنا، فقد قال بعض السلف : "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

www.abulhasanalinadwi.org

عبادة و إظهار الحب لله

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه العظيم إبراهيم –عليه السلام- بتهيئة بيته "الكعبة" للحجاج ليقوموا بالعبادة فيه بقوله: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾١. فكأنه بين بذلك غلبة طبيعة العبودية والعبادة في الحج، وجعلها من أهم مقوماته، ثم أشار إلى أنه مجال لإزالة أدناس النفس التي تلحق بها، وأوزار الإثم التي تتراكم على صاحبه، ومفاسد الضلال والتكبر التي قد تطغى على صاحبه، فتجعل قلب الرجل مرينا عليه بغبار الغفلة والضلال فيحج فيزيله حج مبرور. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى و اتقون يا أولى الألباب ﴾٢.

---

١ سورة الحج : ٢٦ .
٢ الآية : ١٩٧، سورة البقرة .

www.abulhasanalinadwi.org

وذلك عند ما يحج العبد المؤمن فيقضي في حجه خمسة أيام ولياليها في تواضع لله وفي هيام وفداء له، يطوف بالبيت العتيق، ويسعى بين الجبلين الصفا و المروة محاكاة لعمل الأم العظيمة أم إسماعيل ـ عليه السلام ـ ويقف في عرفات مستكيناً تائباً مبتهلاً، بعيداً عن أصناف الأبهة والافتخار وألوان الأنانية والاعتزاز، في ساحة كساحة الحشر ليس فيها كبير ولا صغير، ولا عظيم ولا فقير، يقضي وقته مع غيره من الحجاج في حال واحدة، وفي لون واحد، وفي شغل واحد، لا تنوع في اللباس، ولا تظاهر بالتفاخر، ولا قصور فيها ولا أكواخ ، بل هي فضاء وشبه صحراء، يستوي فيها الكبير والصغير متكاتفاً واحد مع آخر مختلطين فيما بينهم، يدعون ربهم ويبتهلون، ثم لا تنقضي ساعات إلا ويسرعون بأمر ربهم إلى المشعر الحرام، وما يقضون فيه إلا وقفة قصيرة في أناء من الليل، إلا ويسرعون مرة أخرى إلى منى، حيث التضحية و رجم الشيطان وذكر الله بعيداً عن زخارف المدنية و وسائلها، واعتكاف لثلاثة أيام، واتباع لسنة النبي العظيم إبراهيم خليلٍ الرحمن الذي قدم تضحية بفلذة كبده وقطعة قلبه طلباً لرضا ربه، وهي تضحية الابن الحبيب الرشيد النجيب إسماعيل ـ عليه السلام ـ كذلك فقد ضحى به لله رب العالمين بمنتهى ما كان يحمل قلبه من حب لغير الله وهو حب والد أواه حليم لولد له صالح حبيب، وكان ضحى قبل ذلك بحبه لزوجته و وليده الصغير حيث

www.abulhasanalinadwi.org

أسكنهما في مكان لا ماء فيه ولا زرع ، بعيداً عن مكان الطعام والعمران، واكتفى بالدعاء لهما أمام ربه بقوله: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[١]. فلم يكن بقي له بعد ذلك إلا الدعاء من الله ومجرد الأمل في رحمته ورضوانه، إنه تبتل رائع و اعتماد على الله عظيم، وامتثال نادر وإيمان وتحنث، وتوحيد الحب لله وإنما الحج محاكاة لكل ذلك، إنه تطبيق لروح التبتل والعبادة والخضوع التي حملها حياة إبراهيم ـ عليه السلام ـ الفدائية ، ومحاكاة له في أعماله في مكة المكرمة، التي خلدها الله تعالى ، وأراد أن يرى هذه المحاكاة الفدائية من عباده إلى يوم القيامة ، ومن ذلك تنشأ الطبيعة الغالبة في هذا الركن ومنه ينبع مفهومه الحقيقي.

ثم لا يخلو الحج من فوائد أخرى جانبية أيضاً منها التقارب وحصول التعارف بين الإخوة في الإسلام، ممن تباعدت ديارهم واختلفت أحوالهم، فإن هنالك اجتماعاً للعربي بغير العربي ، والأبيض بالأسود ، والبعيد بالقريب، ويتجلى منه معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنما

١ الآية : ٣٧، سورة إبراهيم .

www.abulhasanalinadwi.org

المؤمنون إخوة﴾١، يجتمع الإخوة المسلمون في مهوى أفئدتهم وقبلة صلاتهم وقطب عبادتهم، بوحدة ظاهرة وانسجام ملموس، و تواضع جم وتخنث ظاهر، هاتفين بكلمة واحدة، لبيك، اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك" وبعد ما يتحقق معنى التلبية هذه وذلك بأنهم أدوا ولاءهم لربهم وقدموا تضحيتهم و وفاءهم له يبدؤن في التسبيح والتحميد فيقولون: "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد" وذلك لأنه ثبت من كل هذه العملية العظيمة عملية الوفاء والولاء والفداء أن الله هو أكبر من كل شيئ ، وأنه لا شريك له أبداً ، وأن الحمد له وحده، وهذا هو الزاد الذي يعود به الحاج من حجه، وهو زاد الإيمان والولاء والإيمان.

وهذه سمة الحج الحقيقية، ويجب أن تبقى له، وأن لا تزاحمه سمات أخرى مما راجت وانتشرت في العالم اليوم ، وتجري فيه كما تجري موضات وألوان من السمات، تعم فتطغى كما يطغى فيضان مباغت ثم ينحسر انحسار الماء عن الوادي، وموضة اليوم هي تسييس كل الأمور، وعمت وطغت هذه الموضة على كل أطوار الحياة ومناهجها، وقد يبلغ تأثير هذه الموضة على عقول بعض الناس حيث

---

١ الآية : ١٠، سورة الحجرات .

www.abulhasanalinadwi.org

تصبح مهزلة صارخة، و مثال ذلك أن واحداً من الباحثين تقدم في ندوة إسلامية ببحث له فسر فيه مصطلح الصلاة بأن المراد منها الحكومة، فقال: معنى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾١. حاولوا إنشاء الحكومة وبخاصة منها الحكومة المركزية، أليس هذا مثالاً لمنتهى ما بلغ إليه التسييس في عقول عدد من المفكرين اليوم بحيث لا يضعون الأمور في مواضعها الصحيحة، بل إنما يضعونها في موضع واحد معين، يرتأى لهم بتأثير الغبار الفكري الجاهل الذي يثار على العقول اليوم، صحيح أنه لم تبلغ عقول كثير من المفكرين الإسلاميين إلى هذا المدى، ولكن لايخلو كثير منهم من شوائب مثل هذا التفكير، ولا أظن تفسير عدد منهم لركن الحج بكونه تجمعا للتباحث وتبادل الآراء ومؤتمراً له، إلا أمراً من هذا القبيل فإن ذلك يشير إلى فكرة تسييس الحج مع أنه الركن العظيم الذي يمثل بكل أعماقه وأبعاده التحنث والابتهال والإيمان والعبادة، إنه لابد أن نحافظ على سمة الحج الحقيقية فنؤديه كما أداه الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وصحابته البررة رضوان الله عليهم أجمعين، ويمثله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ورد في الحديث الشريف فإنه دعا به في موقف عرفات:

---

١ الآية : ٢٣٨، سورة البقرة .

www.abulhasanalinadwi.org

"اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير المقر المعترف بذنبه، أسالك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وذل لك جسمه، و رغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعاءك شقياً، وكن لي رؤوفاً رحيماً ، ياخير المسئولين و يا خير المعطين."١

هذا هو الحج الذي فيه تحنث ، و إنابة واستغفار ودعاء، لا الذي فيه مناقشات ومباحثات وإصدار قرارات.

١ البداية والنهاية: ١٧٥/٥.

www.abulhasanalinadwi.org

لبيك اللهم لبيك

الحج نعمة دينية عظيمة، لا يوجد مثلها في دين سماوي آخر غير الإسلام، مع أن زيارة مركز عبادة كبير أو أكبر توجد في الأديان السماوية الأخرى أيضاً، ولكن تماثلها في الإسلام العمرة التي يؤديها المسلم إذا استطاع، وجذبته جواذب المحبة والعبادة لربه إلى هذا العمل الجامع لجوانب روحية مختلفة، ولكن القيام بأداء شعائر الحج في أكبر مركز للعبادة في الإسلام لا يوجد مثله في أي دين آخر، وإنما ينفرد به الإسلام، وإن هناك فرقاً كبيراً بين العبادة الواجبة التي هي ركن من أركان الإسلام الأربعة وبين عبادة تدخل في إطار التطوع والاختيار يؤديها صاحبها، إذا تحركت في نفسه رغبة العبادة ويتيسر له أداءها، فالحج نعمة إسلامية كبيرة، فيها تغذية روحية كبيرة للمسلم، وترسيخ لأساس المحبة والاستسلام في صاحبها لخالقه وربه الرحمن، كما يصاحبها تضامن روحي وإسلامي عالمي وعملية حب روحاني ومظاهرة للأخوة العالمية في المسلمين.

www.abulhasanalinadwi.org

ويشتمل الحج على جوانب تعبدية عديدة لا توجد في عبادة أخرى ففيها طواف، وسعي ، و وقوف عرفات، ثم تضحية تتجلى في أهم أشكالها وهي تضحية حيوان مألوف، ثم مناسبات مختلفة عديدة للابتهال والدعاء، ويتجرد الحاج في حجه من اللباس المألوف، ويكتفي بتغطية جسمه برداء بسيط، ويخرج من الإقامة المألوفة، ثم إنه يقوم بأداء هذه الأعمال في جمع كبير من جمهور المسلمين، وفي أوقات معينة محدودة يتقيد بها، وذلك أمر لايمكن أداء حقه إلا لمن يقدر على ضبط نفسه ومنعها من ميولها وأهوائها، فهو يطوف حول الكعبة المقدسة تحت السماء والشمس، ويتحمل الشمس ثم يسعى بين الصفا و المروة سبعة أشواط، فيمشي فيها في مسلحة تساوي كيلو مترين ونصف كيلو متر تقريباً على أقدام، وعندما يتوجه إلى عرفات يقف في ساحة رملية مترامية الأطراف حاسراً عن رأسه، مكتفياً من اللباس برداء غير مخيط يلقيه على جسده، ويفعل ذلك كل من يقوم بالحج، يستوي في ذلك الغني والفقير، فيظهر بذلك منظر رائع للوحدة والاستسلام والإيمان والحب والتضحية، وتظهر بذلك فكرة العدالة والاستسلام التي هي امتثال لقول الله عز و جل : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ١ وقوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم من آدم، و آدم من

---

١ سورة الحجرات : ١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

تراب، **لا فضل لعربي، على عجمي، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى**"١.

إنما الحج بأحواله عمل يشابه عمل هجرة مؤقتة لصاحبه، فعندما يخرج الحاج لحجه يصبح كمهاجر في سبيل الله، يهجر علاته ودار إقامته وصحبة إخوانه وأصدقائه لمدة قد تطول أكثر من شهر واحد يتحمل فيها مشقة السفر أداء لمسئولية حبه لربه، تلبية للنداء الإبراهيمي الذي قام الرسول العظيم أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأمر من ربه ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق﴾٢.

هذا النداء الإبراهيمي الذي يوجب على ملبيه أن يخرج من مكان إقامته مهما كان بعيداً أو كان قادماً من فج عميق من الأرض يحضر إلى بيت ربه سواء كان راجلاً لا يملك مركباً ، أو كان على مركب ضعيف ضامر ليشهد ما

---

١ كنز العمال.

٢ الآية : ٢٧ _ ٢٩، سورة الحج.

www.abulhasanalinadwi.org

ينفعه وهو مع زملائه في هـذه العبـادة القـادمين إلى البيـت العتيـق ، يلـهج لسـانه بذكـر الله في هـذه الأيـام المقدسـة، ويقضي ما يقضي من تفث، ويوفي ما أوجـب علـى نفسـه من نذر، ثم يطوف حول بيـت ربـه، كمـا يطـوف العاشـق المتيـم حـول دار حبيبـه لايهمـه إلا الحبيـب، ولا يحركـه إلا انفعال نفسه لمحبة ربه وطلب رضاه، فيقـوم مـن الآداب بمـا يظهر ما يضمر قلبه من محبة ربه والتفاني في سبيله فيلـهج لسانه بقوله: "لبيك اللـهم لبيـك، لبيـك لا شـريك لـك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"، وهي جملة ذات دلالة قوية مؤثرة من عبد منفعل لمحبـة ربـه مقـدر لنعمته معترف بملكوته، منـاد بوحدانيتـه يقـول "لاشـريك لك لاشريك لك" ويتردد قول "لبيك" في كل حركـة مـن حركاته ، يقولها في مقدمه وذهابه، يقولها عند قيامـه وقعـوده، يقولها في مناسبة السلام عند الزيارة، يقولها عندما ينزل مـن مركبه، وعندما يركبـه، فـهو يلبـي ويلبـي ويلبـي ، ويثبـت بذلك عبديته ووفـاءه وتواضعـه وفـداءه، و يكـون إظـهاراً للاستسلام والإيمان.

يفعل ذلك وهو يؤدي شـعائر الحـج حتـى إذا تمـت غالبية أعمال حجه ونجح من امتثال أمـر ربـه وأداء واجـب عبديته يبدأ الشـكر للمنعـم و المسـتجيب لدعائـه فيكـبر تكبيراً يؤكد على وحدانية ربه، ويشكره على نعمه فيقـول: "الله أكبر الله أكـبر لا إلـه إلا الله، والله أكـبر الله أكـبر ولله الحمد" فرحلة الإيمان والحب والفداء التي كان بدأها الحـاج

www.abulhasanalinadwi.org

منذ دخوله في الإحرام يتم بنعمة ربه بعد رجمه لعدو الله وهو الشيطان الرجيم وبعد انتهائه من طواف وسعي، وبذلك لا يفرغ من حجه إلا ويخرج نقيا من الذنوب صافيا، وقد جاء في الحديث الشريف: "من حج لله ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"١،وجاء فيه"الحج المبرور، ليس له جزاء إلا الجنة".٢

١ رواه الإمام البخاري: باب فضل الحج المبرور، رقم ١٥٢١.
٢ رواه الإمام المسلم: باب فضل الحج والعمرة، رقم ٣٢٨٩.

www.abulhasanalinadwi.org

مثابة للناس وأمنا

لقد اختـــارالله سـبحانه وتعـالى أمكنـة مـن الأرض خاصة لمزيد من العبادة، وجعلـــها مواضــع لاحــترام خــاص، وميّزها على غيرها، وجعل فيها أسباب تقرب ســريع إليــه، وذلك لأن هذه الأمكنة كانت مواضع إخلاص وتفان وفداء من خيار عباده له ممن آثرهم الله واصطفاهم علـــى غـيرهم بسبب قرباتهم عنده، و بما امتازوا من قنــوت لــه وانقطــاع إليه، منفذيــن لرضــاه في الأرض، قــائمين بتبليــغ أمــره إلى عباده، وكان في مقدمة هؤلاء الأصفياء سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم فقــد قــال الله تعــالى عنه: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾١، وقال: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشــركين، شــاكراً لأنعمــه اجتباه وهداه إلى صراط مســتقيم﴾٢، وقــال: ﴿ولقــد آتينــا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه

---

١ الآية : ١٢٥، سورة النساء .

٢ الآية : ١٢٠، سورة النحل

www.abulhasanalinadwi.org

وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾١، وذكر سبحانه وتعالى سلوكه الحنيفي النادر وعمله العبودي الرائع فقال: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم﴾٢،وقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غيرذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق، إن ربي لسميع الدعاء، رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفرلي ولوالدي، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾. ٣

هذا هو إبراهيم عليه السلام ولقد اصطفاه الله واجتباه، وخصه بحب منه، وتقبل عمله وجعله خالدا، ثم جعل مجال أعماله الحنيفية مكة حرما آمنا ومثابة للناس،

---

١ الآية : ٥١_ ٥٢، سورة الأنبياء .
٢ الآية : ٣٧_ ٤١، سورة إبراهيم .
٣ الآية : ٣٧_ ٤١، سورة إبراهيم .

www.abulhasanalinadwi.org

وأمر الناس بتقليد إبراهيم في الحنيفية وعبوديته لربه جل وعلا ، فأمر بالتوجه إلى الكعبة في بلده ، وبالعبادة في أماكن عبادته، وباحترام هذه الأماكن فقد قال: ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾،١وقال لسيدنا إبراهيم! ﴿وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾٢وربط أنواعاً من العبادات بمواضع من هذه البقعة المباركة، فههنا بئر زمزم يشرب ماءها فيكون شفاء ودواء وفائدة لما يشرب له، فقد قال الرسول صلى الله عليه و سلم: "ماء زمزم لما شرب له"٣ وأخبر بأن الله تعالى يستجيب لدعوة شاربه، وبجواره مقام إبراهيم، وهو الحجر الذي قام عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام عند ما كان يبنى بيت الله تعالى، فتسن الصلاة بجنبه ويستجاب فيه الدعاء، وقد قال الله تعالى فيه: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهناك جبلا الصفا والمروة، سعت بينهما هاجر زوج سيدنا

---

١ الآية: ١٢٣، سورة النحل .
٢ الآية : ٢٧_٢٨_٢٩_، سورة الحج .
٣ رواه ابن ملجة ، باب الشرب من زمزم، رقم : ٣٠٦٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

إبراهيم عليه السلام باحثة عن الماء قبل ظهور زمزم، فجعلهما الله تعالى موضعين للعبادة فقال: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾١،ويقع بقربة من المسجد الحرام في منى المكان الذي قام فيه إبراهيم عليه السلام بالتضحية بابنه الحبيب البار إسماعيل عليه السلام تحقيقاً لأمر الله له بذبح ابنه، ولكن الله حفظ هذا الابن البار وتقبل عمل إبراهيم وجعله خالداً في الآخرين، وكان الشيطان حاول مراراً لتغيير إرادته عن التضحية بابنه لله تعالى فلم ينجح، فتقبل الله عمل إبراهيم عليه السلام، وجعل المواضع المتصلة بعبوديته المثالية وتضحيته النادرة مجالات للتضحية لله والرجم لعدوه الشيطان، وجعلها موضع امتثال حكم الله إلى يوم القيامة ، ففي مكان الفداء ليضحي الحجاج بضحاياهم، وفي مواضع وسوسة الشيطان يرجم الحجاج الشيطان، وكل ذلك امتثالاً للعمل العبودي الجليل، وطلباً لرضا الله ، فيقول الحجاج عند الرمي على الجمرات الثلاث رغماً للشيطان ورضاً للرحمن، ولقد جرى العمل في مشاعر البلد الحرام بالمناسك المأمورة من الله واستمر عليها الناس قروناً وقروناً متطاولة، إلى أن تقبل

١ الآية : ١٥٨ سورة البقرة .

www.abulhasanalinadwi.org

الله دعاء إبراهيم الآخر وهو قوله ﴿وابعث فيهم رسولاً منهم﴾١.

بعث الله تعالى هذا الرسول من ذرية إبراهيم عليه السلام وابنه البار إسماعيل عليه السلام وهو محمد بن عبد الله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم ختم به النبوة كذلك، لقد بعثه في بلد هذه المناسك، وخصه بكرمه واصطفاه برسالته، و زاد به عظمة حرمه الشريف ، ثم أمره بالتضحية بوطنه هذا المحبوب وبلده العزيز وبلد أهله وأقاربه وجده إبراهيم عليه السلام وأمره بمغادرته، وذلك تقرباً وامتثالاً لأمر ربه ، فالهجرة كان أعظم عمل في الإسلام، أمره بالهجرة إلى بلدة أخرى وهي يثرب، وتقبل الله هذه البلدة أيضاً، وهي مهاجر رسوله، جعله الله مباركاً لنزول رسوله فيه، فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بحرمته، وأمر باحترامه وأداء حق حرمته أيضاً .

لقد جعل الله تعالى لهذين البلدين المقدسين حقوقاً وآداباً، أمر بالتزامها في الحرم فلا تعضيد لشجرتها، ولا تنفير لحيواناتها،ولا صيد في عرصاتها، ولا قتال في ربوعها، ولقد حذر الله تعالى من إتيان الظلم والإلحاد فيه فقال: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم} ٢، وجاء

---

١ الآية : الآية : ١٢٩ ، سورة البقرة .
٢ الآية : ٢٥، سورة الحج .

www.abulhasanalinadwi.org

وجاء في الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم : "حرم الله عزّ و جلّ مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف".١

و ورد في حرمة المدينة: عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المدينة حرام ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث حدثاً فيها ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً". ٢

وفي رواية "لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره".٣

و دام الحرمان محترمين منذ أعلن عنهما بالحرمة، بل إنما دام على احترام الحرم المكي سكان الجزيرة العربية منذ إعلان إبراهيم عليه السلام فيه، فقد كانوا يحجون إليه ويؤدون حقوق العبادة فيه وأداء واجبات الامتثال لأوامر الله

---

١ رواه الإمام البخاري، باب الإذخر والحشيش في القبر، رقم: ١٣٤٩ .
٢ رواه الإمام مسلم، باب فضل المدينة من كتاب الحج، رقم : ٣٣٢٧ .
٣ رواه أبوداود في سننه، باب تحريم المدينة، رقم: ٢٠٣٥.

www.abulhasanalinadwi.org

فيه، وإن كانوا لكفرهم قبل الإسلام يزيدون أشياء ويأتون بأعمال أيضاً لم يكونوا أمروا بها، بل كانت أعمال تجلب سخط الله عليهم، ولكن احترام مكة وبيت الله فيه كان غالباً عليهم، وإن أراد أحد خرق هذه الحرمة أصابه عذاب من ربها، فقد أراد الإساءة إليها قبل الإسلام ملك اليمن تبان أسعد فنهاه علماء زمنه وحذروه من عاقبة عمله، فخاف ورجع من عمله، وأهدى إليها هدايا ثمينة بدلاً من الإساءة إليها، وقصة ذلك في السيرة النبوية لابن هشام.

ثم بغى عليها الحبشي ملك اليمن أبرهة الأشرم وتوجه إلى الحرم المكي الشريف بجنوده وأفياله، وكادوا يدخلون مكة مهينين لكرامتها، فغشيتهم جنود ربها طير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاقبة من يريد البغي على الكعبة ، فقد ورد في الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم: "يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم".[١]

فلقد كان الناس حتى في جاهليتهم يحترمون مكة احتراماً بالغاً، ويقومون بالعبادة فيها بخشية وتواضع، وإن كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، وكانوا يأتون بأعمال الشرك فيها، ولكن احترام المكان لم يضعف فيهم،

---

١ رواه الإمام البخاري، باب ما ذكر في الأسواق، رقم : ٢١١٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت قريش ولاتها فكانوا ملتزمين باحترامها وخدمتـها ، وكانوا ينالون لنسبتهم إليها احتراماً ورعاية من الأعراب ، فقد منّ الله تعالى على قريش بذلك حيث قال: ﴿لإيـلاف قريش إيلافهم رحلة الشـتاء والصيـف ، فليعبـدوا رب هذا البيـت الـذي أطعمـهم مـن جـوع ، وآمنـهم مـن خوف﴾١ فقد كان من رعاية العرب لهم لنسـبتهم إلى حـرم الله بأن طريق قبائلـهم في رحلاتـهم للتجـارة لاتقطـع مـن الناس عند ما كانت تقطع طريق كل قبيلة أخـرى غـيرهم، وكانوا آمنين لم يكن يدخل أحد من العرب في الحرم لقتـل أحد أو لأخذ ثار منه إذا دخل في الحرم.

فإن للحرمين الشريفين قدسية كقدسـية المسـجد في كل مكان، وقـد سمـى الله مكـة بالمسـجد إذ وصفـها باسـم المسجد الحـرام، فيجـب احترامـه احترامـاً خاصـاً ، ويجـب المحافظة على قدسيته وأمنه، فلا يكون فيه صخب ولا إيـذاء ولا إثارة فيه ولا إفساد، وإن من الواجب علـى كـل مسـلم أن يلتزم بالتواضع والسكينة في هـذه الأمـاكن المحرمـة، ولا يهتك حرمتها بأعمال فيها صخب وشغب أو إيذاء وسب.

فرض الله تعالى الحج إلى يوم القيامة، وبذلك جعـل أماكنه المقدسة أما كن يجب صيانتـها وحفظـها ليكـون أداء مناسك الحج فيها كما أمر الله تعالى بها، لأن هـذه المناسـك

---

١ سورة قريش .

www.abulhasanalinadwi.org

أصبحت مرتبطة بها فلا تتمّ ولا يحسن أداءها بغيرها، ولا يكمل اتباع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بدون بقاء هذه الأماكن على سيرتها القديمة ، فلينظر كل مسلم كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل في الحرم ، ومن أي طريق كان يدخل فيه، كيف كان يطوف، وكيف يحضر إلى الصفا، وكيف يسعى بينه وبين المروة، وكيف يذهب إلى بئر زمزم، ويشرب ماءه وكيف يذهب إلى منى وعرفات، وكيف وأين يكون وقوفه، ثم كيف يفضي منه إلى المشعر الحرام ، ثم إلى منى، وكيف يذهب إلى الجمرات ويرميها.

لقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حجة وداعه في مكة من أعاليها بعد أن بات بذي طوى، ومر من طريق كداء على وزن بهاء، ولما فرغ من حجه خرج من كدى بضم الكاف وتشديد الياء.

وفي مكة ثلاثة أماكن متقاربة الأسماء وهي كداء، وكدى، وكدى، فكداء على وزن بهاء بفتح الباء والهاء، وكدى على وزن تقى بضم التاء وكدى بضم الكاف وفتح الدال وتشديد الياء، وأولها بجوار الحجون ومقبرة مكة، وآخرهما بجوار جبل عمر من ناحية شماله ، وأوسطها وراء محلتي الأجياد والمسفلة في الطرف الجنوبي من مكة.

وإن الاثنين من هذه الأماكن الجليلة لها صلة خاصة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته في مكة، وهي أماكن تستحق العناية من كل مسلم حاج، وهي وإن لم

www.abulhasanalinadwi.org

تكن مواضع عبادة وتقديس، ولكنها مواضع اتباع للسنة ومواضع لذة إيمانية للقلوب المؤمنة

فما حبّ الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا !

فالحرمان الشريفان محبوبان إلى قلب كل مسلم، وبقاءهما وبقاء عظمتهما وحفظ حرماتهما واجب على كل مسلم، أما المصالح السياسية والخلافات الفكرية فلن تكون مبررات لإهدار كرامة الحرمين الشريفين، أما الحرم المكي الشريف فلاحتوائه على بيت الله المقدس ومشاعر الحج، وأما الحرم المدني الشريف فلأنه ورد فيه من الأوامر النبوية الشريفة بلاحترامه، وفيه مسجده الشريف، الذي يجزى المؤمن على الصلاة فيه أكثر من ألف صلاة في غيره، وتقع فيه البقعة المباركة التي هي روضة من رياض الجنة، وهو مسجد عمره الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم لصلاته ودعائه وابتهالاته، وعمره صحابته البررة ثم أتباعهم وأتباع أتباعهم متواصلين على الأحقاب والدهور الماضية، بعبادتهم والتضرع والابتهال إلى الله فيه.

وفي ناحية من الحرم المدني يقع مسجد قباء، وهو أول مسجد في الإسلام شهد بعظمته القرآن بقوله: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾١، ويقع في

---

١ الآية : ١٠٨، سورة التوبة .

www.abulhasanalinadwi.org

ناحية أخرى جبل أحد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هذا جبل يحبنا ونحبه"١ وهو على باب من أبواب الجنة" هذا ومواضع أخرى عديدة في هذه المدينة المنورة تملأ قلوب المؤمنين محبة واحتراماً وانجذاباً إليها ، وزاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية المدينة المنورة بقوله: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها. ٢

فهذان الحرمان الشريفان يتطلبان منا أن نؤدي حقوق احترامهما، وأن نقوم بواجب التأدب فيهما، وأن نحفظهما من إساءة مسيء ، وإهدار مهدر لكرامتهما ، وأن لا نسمح لأحد بأن يرفع هتافات ، أو رايات لغير الله ولغير الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقوم بذلك بإهانتهما وخرق كرامتهما وإهدار حرمتهما.

١ رواه الإمام البخاري، باب فضل الخدمة في الغزو، رقم : ٢٨٨٩ .
٢ رواه الإمام البخاري، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم: ١٨٧٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

عيد الأضحى المبارك وذكرى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام

الأعياد مناسبات تحمل للإنسان أريحية واستبشاراً في أيام يعدها الإنسان حلوة وسارة ، وهي تعبر عن ذكريات قومية وشعبية تبعث على انطباعات الفرح والاستبشار ، والأعياد إنما يتجلى فرحها بإظهارها إظهاراً اجتماعياً عاماً، ولذلك يهتم الناس فيها بالقيام بالإظهار الذي يقدرون عليه بصورة متلائمة مع الانطباعات ، أما في الإسلام فقد جعل الله مواعيد مناسبات الفرح هذه منحصرة أصلاً في عيدين ، أما غيرهما من المناسبات فقد جعلها مناسبات لالتزامات اجتماعية خاصة ، وهي التزامات تفرض على صاحبها العمل وأداء واجب مثل شهر رمضان الذي يكون فيه انقطاع عن الطعام والشراب ، وعن التمتع ببعض ما كان يحل لصاحبه في غير رمضان ، وذلك في كل نهار من الشهر ، ويكون هذا الانقطاع مصحوباً بشعور إنساني نبيل يحصل لصاحبه في أيام هذا الشهر ولياليها بحيث إن الإنسان الصائم يجعل نفسه في إطار رجل محروم عن الغذاء

www.abulhasanalinadwi.org

لمدة النهار من كل يوم ، فيمر بذلك من خلال معرفة عملية لما يعانيه كثير من الناس من بعض الحرمان ، فيكون معرفة عملية ، لا معرفة خبر وليس الخبر كالمعاينة .

أما العيدان اللذان جعلهما الإسلام للمؤمنين بـه ، فأولهما عيد الفطر السعيد وهو يأتي بعد شهر رمضان الذي كان الصائم قد قضاه في ممارسة جانب من التعبد ابتغاء رضا ربه بتحمل ما أمره بتحمله وممارسة الشعور النبيل ، نحو كثير من الناس المحرومين من حاجاتهم الإنسانية ، وهو يصبح بعد قضاء شهر كامل في هذه الممارسة حرا من قيود الصيام يوم العيد، وفيه يجد راحة نفسية مع رضا ربه ، أما العيد الثاني فهو عيد الأضحى الذي يأتي بعد عيد الفطر بمدة شهرين وأسبوع ، وهو يأتي بسرور بما يحمله هذا العيد من ذكريات التضحية والفداء التي قدمها أبو الأنبياء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- لربه ، وكانت أروع مثال للفداء ، وذلك بالقيام بتضحية بحبه لوطنه، وحبه لزوجته ، وحبه لطفله في المهد، بتركهما في صحراء قاحلة لا نبات فيها ولا ماء ، ولما سئل عن ذلك قال إنه امتثال لأمر الله تعالى ، فتقبل الله تعالى عمله قبولا حسنا، وجعل ذكرياته باقية خالدة إلى يوم القيامة ، وأمر المؤمنين بأن يتذكروا هذا المثال ، ويهتموا بإظهار التقدير له ، وتهيئة نفوسهم للقيام بأمر مشابه له ، وأن يحمدوا الله تبارك وتعالى على انتماءهم إلى مثل هذه الشخصية الإنسانية الفذة بممارسة بعض الصور المشابهة لهذا الفداء ،

www.abulhasanalinadwi.org

فهذا اليوم يوم ذكرى للطاعة والخضوع لرب العالمين ، وهو نجاح للإنسان في إظهار عبديته وامتثاله لما أراد الله منه من الفداء.

فأيام هذه الذكرى تستحق بأن يفرح المؤمنون بها، وهذا الفرح إنما هو فرح بنجاح قدوتهم وإمامهم في امتحان العبدية ، وامتثال أمر الرب في زمن من أزمان التاريخ ، فجعل الله هذه الأيام أيام سرور على النجاح الحاصل فيها ، وبإحياء هذه الذكرى بالذهاب إلى موطن هذه التضحية والفداء مكة المكرمة ، وإظهار صلتهم بهذه الواقعة العظيمة بممارسة بعض آثارها الظاهرة ، فالمؤمن القادر لأداء هذه الفريضة يذهب إلى ذلك المكان التاريخي الخالد وهو يقول : "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك" ويكررها تكريراً ، ويقضي ثلاثة أيام في تلك الساحات المقدسة، ويبدي مسرته في يوم العيد وفي يومين بعده ، يأكل ويشرب، ويعبد ربه ، وبذلك تحصل له راحة نفسية عجيبة، وهي تكون راحة مزدوجة تجمع بين رضا الرب وسرور العبد، بين العبادة وبين إظهار الابتهاج ، وهو يغذي نفسه وقلبه بروحانية رائعة يحملها من ذلك البيت العتيق الذي هو أول بيت وضع للناس مثابة وأمناً ، يكون الوافد إليه قد ارتوى بجماله وجلاله معاً ، وهو الذي يدخل في قلب الرائي إليه سكينة وطمأنينة ولذة كريمة ، أما الذين لا يقدرون على الذهاب إلى ذلك المكان فهم يقضون هذا

www.abulhasanalinadwi.org

اليوم في الحنين إليه ، وفي التذكر لهذه التضحية ، والسرور على ذلك النجاح الذي أحرزه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فيجمعون بين التذكر والتقديم لما يستطيعونه من تضحية ، وهي تضحية حيوان مأكول يأكله المحتاجون إلى الأكل، ويتمتعون بذكر هذه التضحية ، ويعبدون ربهم بأداء ركعتين للشكر والاستسلام لأمر ربهم ، ويرتلون بألسنتهم كلمات الشكر "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد". ويرتلونها في الذهاب والإياب بين بيوتهم ومصلى العيد، ولمناسبة هذا العيد بالتضحية يسمي بعيد الأضحى لأن صاحبه يقدم الأضحية شكراً وامتثالاً لأمر ربه، ويلبي دعوة ربه للحضور في ذلك المكان المقدس بيت الله العتيق الذي كان أرسى عبده ورسوله إبراهيم عليه السلام بنيانه ، وقدم بجواره التضحية العظيمة تضحية ابنه المحبوب إسماعيل عليه السلام ، وقد تقبل الله هذه التضحية قبولاً حسناً مباركاً لما كان فيها امتثال مثالي من العبد لربه، وجعلها الله تبارك وتعالى ذكرى خالدة إلى يوم القيامة، وأمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس بالتوجه إلىهذا البيت والعبادة فيه بقوله : ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا

www.abulhasanalinadwi.org

نـذورهـم وليطوفـوا بالبيت العتيــق ﴾ [الحـج ، الآيـات : ٢٧-٢٩] .

وكل ذلك في جو من السرور الاجتماعي والبهجــة الطاهرة فيصبح بذلك عيداً على أعلى نموذج وأكــرم مثـال للحاج لبيت الله ، وللمقيــم في وطنـه أيضـاً ، فإنـه يتذكـر سيدنا إبراهيم عليه السلام وتضحيتـه ، ويبـدي شـوقه إلى ذلك المكان الربـاني العظيـم ، ويقـوم بتضحيتـه ، ويـؤدي ركعتين لصلاة الشكر ، فمرحباً بالحج إلى بيت الله الحـرام ، ومرحباً بعيد الأضحى المبارك

www.abulhasanalinadwi.org

ذكرى التضحية والإيثار

ذهب إبراهيم الخليل وذهب ولده الرشيد إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ذهبا كما يذهب كل إنسان من هذا العالم إلى العالم الآخر، طوى كل واحد منهما حياته كما يطويها أي إنسان في هذا الكون، يعيش ما أراد الله أن يعيش ثم يقضي عليه، لكن الذي آثرهما الله به دون غيرهما من الناس، والذي تلهج به الألسن لهما كل عيد النحر، هو الذكرى الأبدية، ذكرى التضحية الكبرى التي قدمها سيدنا الخليل وابنه - عليهما السلام - ولقد كانا يعرفان الخير من الشر كل المعرفة، ولم تكن تنقصهما العواطف البشرية ولم يكن يعوزهما فهم مفكر ولا عقل حكيم.

أمر سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام بتضحية أغلى شيء لديه في الوجود ، وأحب شيء عنده إلى النفس، أمر بها فتمهل وتأنى وكان العقل السليم يقتضي منه أن يتمهل ويتأنى، ويقتضي منه أن لا يتعجل ولا يتسرع، لأن المطلوب منه لم يكن بأمرحقير تافه، ولا بشيء سهل رخيص،

www.abulhasanalinadwi.org

فكيف إذن يتسرع ولا يتمهل ، وكيف إذن يتعجل ولا يتأنى وهو إبراهيم الرسول أبو الأنبياء ، تتبعه أمم وتسير على جادته أقوام ولكنه رأى أن إرادة الله لاتريد منه غير التضحية والقربان وغير إيثار محبة الله على هوى النفس وغبطتها ، فنشط لها وخف ، ونسى ما كان يمنعه عن ذلك من حب للولد والشفقة له ، ففدى بأعز متاعه ، وثم أنعم الله عليه أن جعل ذلك الإيثار ذكراً للآخرين ومثالاً للأجمعين، هذه هي الذكرى التي نرى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بها ، فترى فريقاً منهم يلبون ذلك الأذان الذي أذنه سيدنا إبراهيم عليه السلام يوم أمره الله به بقوله ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾١، يلبون هذا النداء ويأتون المكان الذي شهد هذه الحوادث الخالدة والوقائع المثلى من حب وإيثار وفداء، يأتون ذلك المكان رجالاً وركباناً يستوحون من آثاره الباقية وعلائم تضحيته الخالدة، يستوحون منها الروحانية الشفيقة والمحبة اللطيفة، ويملؤن بها نفوسهم مهابةً وروعةً وجلالاً، إنهم يجدون عندها بناء كعبة الفخم الجليل، البناء العتيق الذي يشهد بسمو إبراهيم الخليل على الإنسانية

---

١ الآية : ٢٧_ ٢٨، سورة الحج .

www.abulhasanalinadwi.org

العامة المنحطة، ويشهد بجلالة رب العالمين، ويتشرف بالانتساب إلى اسمه وهو أول بيت ، قال الله تعالى: ﴿إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ ١ يدخلون أرض إبراهيم الخليل وفي نفوسهم عبرة وذكرى، كأن أرض هذه الديار المقدسة لاتنفك تتذكر إبراهيم وابنه عليهماالسلام ﴿و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ ٢ وإذ يبشر بأن صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، وكأن أرض هذه الديار لا تزال تذكرما أودعاه للتاريخ من مثال، فتشفي بمن تراهم من النازلين فيها، والذين يؤدون ما أوجب عليهم الله من تعظيم شعائره، ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾٣ مستقبلين متلقين لما هيأ لهم إبراهيم الخليل من قبل من مكان أمين، وأرض كريمة حيث يقول الله سبحانه ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾٤ فينزلون في هذه البقعة الطاهرة المقدسة منزلاً كريما، يقلدون

---

١ الآية : ٩٦_ ٩٧، سورة آل عمران .
٢ الآية : ١٢٧٠، سورة البقرة، .
٣ الآية : ٣٢، سورة الحج .
٤ الآية : ١٢٥، سورة البقرة .

www.abulhasanalinadwi.org

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، عسى أن ينالوا شيئاً من شآبيب الرحمة والرضوان.

وفريق آخر من المسلمين وهو الذي لايتمكن من الذهاب إلى هذه البقاع المقدسة، ولا يستطيع أن يقر عيونه، ويثلج صدوره، بمشاهدة تلك الآثار المجيدة، ذلك الفريق الذي يتبع إبراهيم ويحبه ويجله، إنه يبدي عواطفه في أوطانه ويساهم في الذكرى بما يملك من حب وبما يملك من عاطفة، يبدي فرحه ومسرته لهذه الذكرى الرائعة ، الذكرى الإنسانية الكريمة ، ويحاكي هذا العمل البار الطاهر السماوي بما يقدر عليه من مادة ، أو متاع ، وبما يحسن عمله من حسنات وتضحيات ، فإذا كان لايمكن له أن يدنو من ذلك الشأو البعيد من تضحية أعز شيء في الوجود من قتل الولد وإهلاك النفس البريئة، لأنه نهي عن ذلك، ولأن إبراهيم الخليل هو نفسه لم يعمله نهائياً وإن أراد ذلك وتشجع له، فإذا كان هذا الفريق من المسلمين لا يستطيع أن يبلغ هذا الشأو البعيد، وإذا كان كذلك لايتمكن من أن يجوز المفازات الشاسعة، وأن يخترق البحار والغابات إلى الأرض المقدسة، فإذا كان لايستطيع كل ذلك، فلا أقل من أن يركع لله ركعتين، وينحر جزوراً حتى يمثل بذلك عن إيمانه وعواطفه،وعن آماله ومطامحه.

يقوم المسلمون بهاتين الطريقتين في أكناف المعمورة بمهرجان أكبر تضحية وأجل عمل شهدهما التاريخ الإنساني من التضحية التي لا تزال خالدةً لم تعفه أعاصير

www.abulhasanalinadwi.org

الأيام التي تدمر كل شيء بإذن ربها فلا يبقى معها تاريخ ولا يدوم معها ذكرى، ولكن الأيام هي التي - رغم قوتها وجفائها - ألقت للتاريخ البشري مثالاً وذكرى وهي في جميع البلاد مهما كانت بعيدةً عن ديار الإسلام ومختلفة عنها تقام وتحتفل، وتشهد الأقطار والبلاد في هذا اليوم كثيراً من السرور البادي على الوجوه والفرح المتكشف في الحياة الإسلامية والاحترام والإكبار لذكرى هذا اليوم، وفي هذا اليوم تستعيد الذاكرة ما علق بها من تلك الحوادث العتيقة وما سكن فيها من تلك القصة القديمة ، فيصلي المسلمون في الضواحي والمدن مجتمعين ، ويحبون بعضهم بعضاً وينحرون جزوراً، ويوزعون الهدايا واللحوم ولا يقصرون، يقضون يوماً كله مسرة وعبرة ونعيم وذكرى.

ولا توجد في العالم بلاد يسكنها المسلمون ويأتي لهم هذا اليوم ولا ينشطون بمظاهرات التضحية والعبادة لأنهم يريدون أن يحفظوا لإبراهيم الخليل عليه أزكى التحيات إيثاره الغريب وتفانيه في حب ربه ، وتضحيته الزاكية لبقاء هذا الذكر الجليل ، ويسجّلوا له هذا المثال.

www.abulhasanalinadwi.org

فرصة لمحاسبة النفس والاحتساب

عيد الأضحى المبارك عيد يحمل في جوانبه معاني مزدوجة من المسرات والتضحيات، وهو يذكر كل مسلم بما قام به أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه العظيم إسماعيل عليه السلام من أعمال التضحية والإيثار، ومن إخضاع النفس لله، للأوامر الربانية والرضوان الإلهي، وبها قد ضربا مثالا رائعا خالدا للإنسانية لحياة السمو والإيثار والفضيلة والإنسانية السمحاء.

إن هذا العيد المبارك هو عيد يوم النحر العظيم منارة عالية خالدة تنير السبيل لأفراد الإنسانية وأممها إلى أقصى حدود المدى، وتشع لهم إشعاعا يمكن أن يهتدوا به في مسالك الحياة الزاخرة بكل نوع من الظلمات الحيوانية الكثيفة.

ويعود هذا العيد العظيم على المسلمين وعلى الإنسانية كل عام ليراجعوا حساب أعمالهم ولينظروا إلى خطط حياتهم هل هي خاضعة لمعاني الفداء والسمو الإنساني التي قام بها أبو الأنبياء والرسل سيدنا إبراهيم عليه ا لسلام وقدمها مثالا رائعا للإنسانية لتعمل به وتختاره طريقا للسير في مسالك حياتها الزاخرة بكل

www.abulhasanalinadwi.org

خسيس من الأهواء.

وإن اتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أعظم من كلفوا باختيار ذلك والعمل به، لأنهم عندما دخلوا في حوزة الإسلام قد دخلوا في ملة سيدنا إبراهيم السمحاء، فقد قيل لهم ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين﴾١ وقيل لهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾٢.

وما دام المسلمون ملتزمين بالسير على جادته وملتزمين بأعمال الإيثار والتضحية والإخلاص التي سار عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه العظيم سيدنا إسماعيل، دام لهم العز والشرف من بين الأمم والأفراد ولكنهم إن حادوا عن هذه الجادة فلا كرامة لهم إذن ولا شرف، لقد شهد التاريخ بذلك دائما وهو مستعد أن يشهد به في كل وقت، وما كانت ذلة اليهود وهوانهم على البشرية كلها إلا لتركهم طريق سيدنا إبراهيم، وتمرغهم في حياة لذائذ النفس والهوى وابتعادهم عن حياة الفضيلة والإيثار.

أفليس للمسلمين إذن أن يحاسبوا أنفسهم أدق حساب ويستفيدوا بهذه الذكرى السنوية التي تهدى لهم طريق الهداية والاعتبار.

---

١ الآية : ٩٥، سورة آل عمران .
٢ الآية : ٧٨، سورة الحج .

www.abulhasanalinadwi.org

معاني الوحدة و الفداء

يأتي عيد الأضحى بذكريات تضحية هي أعلى وأغلى تضحية في الوجود ، تضحية الابن الفتى العزيز على والديه، إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيد والده الرسول العظيم إبراهيم خليل الله ـ عليه الصلوٰة والسلام ـ ولم تكن التضحية لغرض من الأغراض المادية التي قد يقوم الإنسان لأجله بتضحية صغيرة أو كبيرة، ولم تكن لدفع مضرة أو خطر داهم يمكن بالتضحية النجاة منه، ولم تكن في حالة ذهول أو غيبة عقلية مؤقتة كما يحدث في حالة غياب الوعي فيأتي من صاحبه بعض الأعمال المستحيلة والنادرة.

بل إنما كانت هذه التضحية عن بصيرة كاملة ومعرفة ، بل كانت بعد تشاور مع ابنه هذا الذي أراد الوالد التضحية به ، وكان الابن في كامل وعيه، فطنا عاقلا.

إنما تضفي هذه التضحية نوراً وبركة ومثالية على العيد السعيد الذي ينسب إلى هذه التضحية، ولقد فرض الله الحج لزيارة أماكن هذه التضحية على كل مسلم

www.abulhasanalinadwi.org

مستطيع قادر للحج مرة واحدة في عمره ليقوم بمحاكاة مستطاعة لتلك التضحية الجبارة.

وتبرز معالم ذكرى هذه التضحية في حياة المسلمين كل سنة في أيامها، إما بالحج إلى أماكنها المقدسة لأداء شعائر الحج، وإما بالتذكر لها ومحاكاتها بتقديم تضحية بكبش أو بآخر أكبر منه بمثلما وقع لسيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بعد ما قام بذبح ولده في نظره ولكنه في الواقع ذبح كبشا أبدله الله من ولده إسماعيل بدون علم منهما.

ويقوم المسلمون في كل مكان باتخاذ يوم التضحية هذا يوم مسرة ونعمة يحتفلون به كل عام، كل حسب مستواه واستطاعته، فمن المسلمين من يقوم بتضحية كبشة أو بقرة أو جمل، أصالة من نفسه أو نيابة عن أهله وأولاده، مع أداء صلاة عبادة وشكر، ومنهم من لا يقدر على التضحية المالية هذه فيكتفي بصلاة وشكر، ثم يتبادل التحيات والمباركات مع إخوانه المسلمين، من جيران له وغير جيرانه، ويؤدي المسلمون صلاة عيدهم هذا في مسجد مخصص لصلاة أكثر مسلمي المدينة، لتكون المشاركة في العبادة والسرور على أوسع شكل اجتماعي ، فإن جميعهم عباد لإله واحد ، وأتباع نبي واحد ، ومأمورون باتباع ملة ذلك المضحي الأكبر في رضا ربه سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وقد أمر الله تعالى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم أيضا باتباع ملة إبراهيم حنيفا، وجعله قدوة للمسلمين جميعا ، وجعل البيت الذي بناه لعبادة الله وحده

www.abulhasanalinadwi.org

أول بيت لعبادته، وقبلة لجميع المسلمين، وجعله مثابة للناس وأمنا.

إن يوم عيد الأضحى ليحمل في طيه معاني كبيرة ومنوعة للعبدية والعبودية لله وحده، و وحدة الملة، والتضحية بالنفيس الأنفس لله وحده، وإظهار عواطف الحب والفداء للخالق الواحد رب العالمين رازقهم وحافظهم جميعا.

وإن معاني الوحدة والفداء الغامرة لقلوب عباد الله جميعا لإلههم الواحد وخالقهم ورازقهم وحافظهم الواحد، هو القطب الذي تدور حوله رحى الحياة الإسلامية ، وهي منبع قوة المسلمين وسبب ثباتهم على العقيدة والسلوك، بالمنهاج القويم الصحيح المقرر من الله ورسوله للمسلمين جميعا.

وهي معان تثير في نفوس المسلمين وقلوبهم ما هو كامن فيها من عواطف من الاستسلام والاتباع والحب، وتجعله زادا لهم، ينشأ منه فيهم النشاط والثبات والعزيمة ، فهم يتحركون لأهداف دينهم تحركا مثاليا، ويثبتون على المبادئ ثبات الجبال الراسيات، ويحملون عزيمة في الإرادة والعمل، لا تقطعها الشدائد ولا تذيبها المحن، ونجد في تاريخ أهل العزيمة من المسلمين أمثلة منقطعة النظير لهذه القوة للتفاني في العمل والثبات على الإيمان والعقيدة، وبهذه القوة فتحوا القلوب ودوخوا العالم ونشروا الفضيلة والعدالة في البشر.

www.abulhasanalinadwi.org

والخير الإنساني الذي يوجد اليوم في العالم كله إنما هو راجع إلى تلك الجهود الجبارة التي بذلها أتباع الدين الحنيف، الدين الإسلامي الذي جاء به خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على ملة جده جد الرسل والأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ والضعف الذي لحق المسلمين اليوم فواجهوا بسببه رزايا ومحنا قاسية ، إنما جاء لضعفهم في الامتثال لأوامر رسولهم سيدنا محمد بن عبد الله واتباع إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في التضحية و الفداء.

تجد المسلمين في أنحاء العالم المختلفة، في محن وشدائد في دينهم ودنياهم جميعا، وليس كل ذلك إلا بنتيجة تهاونهم وتغافلهم في القيام بواجب الثبات على دينهم والتمسك بمعاني القوة والعزيمة والفداء، التي نجدها في ذكريات الإيمان والحب والفداء التي تتجلى من أعمال الحج وعيد الأضحى المبارك، ويأتي يوم عيد الأضحى كل عام ليذكرنا ويلفت نظرنا إلى هذا المثال العظيم، وفقنا الله والمسلمين جميعا لطاعته واتباع أوامر شريعة دينه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه جميعا.

www.abulhasanalinadwi.org

أنعم بعيد الأضحى وأكرم، ولكن ..!

عيد الأضحى المبارك عيد يذكر المسلمين بمعاني الحب والوفاء، وبأعمال التضحية والفداء التي قام بها خليل الله إبراهيم عليه السلام في بطحاء مكة ويتشبه بأدائها المسلمون في كل عام.

إن خروج المؤمنين بعده من هذه الذكريات وهذه المعاني والأعمال بعد أداء ما يستطيعون أداءه من حقوقها عليهم هو الذي يمنحهم نعمة الفرحة الحقيقية والسرور العظيم وهي التي تتشكل بيومها العيد السعيد في هذا التاريخ من كل عام.

فهو عيد ويوم هناء، ومعانيه وذكرياته في نفس الوقت درس وموعظة بل إنما هي مدرسة يمكن أن يتربى عليها أصحاب الإيمان ، ويتخرج عليها الأبطال فيعملوا في هذه الحياة ما يعجز عن العمل به من يفشل عن حمل أعباء الحياة الرجولية والبطولية والتضحية.

www.abulhasanalinadwi.org

وما أشد حاجتنا إلى الرجال الأبطال ولكن ما أكثر- مع الأسف - أولئك الذين يعجزون عن حمل أعباء الرجولة والبطولة فينا.

إن العالم الإسلامي في أشد حاجة إلى من يتشبه بسيدنا إبراهيم الخليل ويتشبه بسيدنا إسماعيل العظيم، أب جليل وابن جليل، قاما معا بعمل جليل وتركا إلى يوم القيامة جلالة عملهما لتستعاد بذكراها وتتبع آثارها، ولتبقى عملا يهتدي به في حياة الإنسان المؤمن مادام يبقى إنسانا مؤمنا وهو يتميز على غيره من الآخرين.

ويأتي يوم الأضحى في كل عام ويذهب، ومعنى ذلك أننا نلتحق إلى مدرسة الأضحى كل عام ونخرج منها، ولكن هل نتلقى منها درسا ونتعلم منها ما هي تعلمنا كل عام من معاني الإيمان والحب والفداء.

هذا مالا يمكن أن يجيب عليه إلا تلك الأحوال البائسة الفاشلة التي أصبحت الأمة الإسلامية تعيش فيها منذ مدة ولا يمكن أن يكون الجواب عليه سواه، مادمنا لانخلع عن أنفسنا لباس الاستكانة والرضا بالهون، ومادمنا لانعود إلى تراث عظمتنا وكرامتنا في التاريخ نقتبس منها الزاد والقوة لننتفع بهما في طريقنا إلى المجد، وإذا فعلنا ذلك أو حاولنا فعله فأنعم بكل مسراتنا في الحياة، وأنعم بأعيادنا وأفراحنا جميعا وأكرم.

www.abulhasanalinadwi.org

دروس الهجرة

www.abulhasanalinadwi.org

الانتقال من بيئة إلى بيئة جديدة

إن تحول عام سابق إلى عام جديد ليس حادثا غريبـــا، بل وقد يكون أهون من تحــول يــوم ســابق إلى يــوم جديــد، ولكــن مــع ذلــك يمكننـا أن نسـتفيد منـه اسـتفادة كبــيرة ونستغله استغلالا لمصالحنا الاجتماعية، وهذه الاستفادة هي أن نراجع حساب حياتنا وأعمالنا عنـد تحـول عـام إلى عـام جديد، ونتزود بما يحصل من هــذا الحســاب لعامنـا الجديــد، وذلك بمثلما يحاسب التاجر في المسـاء مـا ربحـه ومـا خسـره طيلة يومـه، أو يحاسـب في نهايـة عامـه الاقتصـادي مـوارده ومصاريفه ليبني على هذا الحســاب منهجـه للعـام الجديـد، وهو الذي نسميه بالتخطيط أو ما يشبه ذلك.

فالأهمية التي ينالها الحساب المـالي لـدى تـاجر أو في نظام اقتصادي يجب أن ينالها حسـاب الأعمـال لـدى رجـال نظام اجتماعي وقادة شعب من الشعوب وأفراده ، فكما أن ضرورات المطعم والملبس والمأوى تقتضي منا تخطيطا ماليــا لها، وتقتضي تنفيذ هــذا التخطيــط، ثـم محاسـبته في نهايـة العام، فكذلـك مطـالب الكرامـة والعـزة في هـذه الدنيـا،

www.abulhasanalinadwi.org

والفوز والفلاح في الآخرة تحتاج منا تخطيطا وتنفيذا ومحاسبة.

فتحول عام سابق إلى جديد يتطلب منا أن نفكر ونبحث فيما كسبناه وفيما أضعناه على صعيد كرامتنا وشرفنا وقيمنا وأهميتنا في هذا العالم حتى يمكن لنا أن نحمل منه زادا لعامنا الجديد.

لقد تحول العام السابق بنهاية نهار الثلاثين من ذي الحجة، وظهر عام جديد بغرة محرم الحرام، وهو يسمى بالتقويم الهجري الذي يبتدئ كل شهر بطلوع هلال جديد.

اتخذت أمم مختلفة تقاويم مختلفة فمنها شمسية ومنها قمرية، أما الشمسية فأشهرها تقويم الميلاد المسيحي، ولقد عم هذا التاريخ في الأمم الغربية والتي في أفلاكها من أمم الشرق، وبجنبها يوجد تقويم هندي، وتقويم فارسي وتقويمات أخرى في بلدان مختلفة وكلها تقاويم محلية تجرى في مناطقها المحدودة.

أما التقويم الهجري فهو تقويم يجري العمل به في كافة البلدان التي يسكنها المسلمون في عدد لا بأس به بجنب تقويم شمسي، أما التقويم الهجري فهو تقويم للتاريخ لا ينسب إلى ميلاد شخصية كبيرة من شخصيات التاريخ ولا إلى وفاة شخصية كبيرة، ولا إلى جلوس ملك على عرش ملكه، بل إنما ينسب إلى حدث تاريخي عظيم خالد، وهو هجرة المظلومين المضطهدين في أمر عقيدتهم وحياتهم الإنسانية الكريمة من وطنهم إلى أرض أخرى لا يواجهون

www.abulhasanalinadwi.org

فيها ظلماً واضطهاداً، ولم تكن هجرتهم لغرض مادي أو هدف نفساني.

أصبحت هجرتهم بذلك حدثاً تاريخياً عظيماً، وبمثابة منار تاريخي ينير الطريق لأجيال البشر إلى يوم القيامة ، وهو وسيلة تذكير وتنبيه يتخذها الإنسان لتاريخ أحداثه ووقائعه، ويتذكر بها ما يجب وما لا يجب عليه نحو مسؤلياته الكبرى في حياته، وهو وسيلة حساب لعدد من مسؤلياته الدينية.

لقد كانت الهجرة من مكة إلى يثرب المدينة المنورة حدثاً عظيماً في التاريخ الإسلامي ، بل وفي التاريخ البشرى كله، فقد كانت عنواناً لإنقاذ البشرية من تلك الضلالات والتفاهات التي كانت تتسكع فيها، والتي كانت فيها بمثابة البهائم السائمة في الأرض بحيث لا رادع لها ولا ضابط إلا الأهواء والأغراض، ولذلك عد عمل الهجرة في الإسلام أجل عمل، ولما فتحت مكة وانتهى عمل الهجرة منها أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أن "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية"[١]، فالجهاد والنية الصالحة أصبحا ينوبان عن عمل الهجرة، فلقد انقطع عمل الهجرة الأولى شكلياً ولكن بقي معنوياً، ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم معاني تحمل روح الهجرة، فقد قال: "المسلم من سلم

---

١ رواه الإمام البخاري، باب فضل الجهاد والسير، رقم: ٢٧٨٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"١، فمن الهجرة منع النفس من رغباتها الحقيرة وأهواء النفس الضارة.

فنحن إذا فاتنا عمل الهجرة الشكلي فلا يفوتنا عمل الهجرة المعنوي من سلوكنا السيئ إلى السلوك الحسن المستقيم، وذاك بأن لا نؤذي عباد الله بسلوكنا المنحرف، وأن نترك ما ينهى الله ورسوله عنه، وأن نقوم بالجهاد ، والجهاد قد يكون بالقتال ولكنه قد يكون بالتضحية بالراحة ورغبات النفس في سبيل الله، وبأن نجعل نيتنا نية صالحة صادقة.

هذا هو المنهج الذي يسعنا اتباعه للوصول إلى السعادة الشبيهة بالسعادة التي كانت تحصل بعمل الهجرة الأولى، على كل فإن بدأ السنة الهجرية يذكرنا بل ويطلب منا أن نحاسب نفوسنا، هل تتفق أخلاقنا مع مدلول الهجرة ، وهل تتصف حياتنا بصفات الهجرة، هل نحن مسالمون مع إخواننا المسلمين ، أم بأسنا شديد بيننا وقلوبنا شتى.

إن أخلاقنا أصبحت كأخلاق اليهود، نجري وراء الأغراض المادية متخاصمين فيما بيننا، وإذا لم نستطع تسليط بأسنا على أخينا بالسلاح فنسلطه عليه باللسان

١ رواه الإمام البخاري، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده رقم: ١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

والقلم، فهل هذه أخلاق من سلم المسلمون من لسانه ويده.

أما هجرنا لما نهى الله ورسوله عنه، فحدث عن البحر ولا حرج، فما من سوء سلوك منهي من الله ورسوله إلا والمسلمون يرتعون فيه ويمرحون.

على كل فكلما ينتهي عام هجري ويبتدئ عام جديد يلفت نظرنا إلى عمل الهجرة الذي قام به المسلمون الأولون محافظين على قيمها وروحها وأخلاقها، ويلفت نظرنا إلى ضرورة أن نحاسب أنفسنا فيما قدمناه وأخرناه،وماذا أحرزناه، وماذا فقدناه في هذا المضمار.

www.abulhasanalinadwi.org

عام هجري جديد واستراتيجية جديدة

إن الذي يسرنا ويبعث فينا الأمل في شأن الصحوة الإسلامية في مختلف أقطار العالم هو ذلك الحماس والسعي للإسلام الذي تبذله جماعات من المسلمين في العالم لإعادة الإسلام إلى منصته التي كان عليها قروناً عديدة في الماضي، وسعيهم لتنفيذه في مجالات الحياة، وما نجده من أداء الإعلام الإسلامي لواجبه نحو تعريف الإسلام إلى الناس والتوعية الواجبة له.

لاشك أنهم بذلوا جهداً كبيراً وضحوا براحتهم ومضوا زماناً طويلاً في بذل المساعي وأداء واجب ديني و نشاط يقتضي أداءه عزيمة ومصابرة، واحتملوا شدائد من معارضيهم الشاكين في جدارة الإسلام لمسايرة الحياة ، واشتدت عليهم المعارضة فقاسوا محناً وشدائد في سبيل الإسلام ومروا من اضطهادات وظلم، وعدوان حتى ذهب عدد منهم ضحايا للقهر والطغيان الذي صب عليهم من أصحاب الشوكة والحكم في بلادهم.

www.abulhasanalinadwi.org

فكل ذلك يزيد ثقلاً في ميزان أعمالهم، وينالون عليها أجراً ومثوبة كبيرة، ونعرف أن محن هؤلاء العاملين للإسلام لم تنته بعد، وأن طريق الإسلام والدعوة له لا يزال مفروشاً بالأشواك وهم يسيرون عليها بصبر وأناة، فمع كل اعتراف وتقدير لهم ولجهودهم، ومع معرفة أن الظلم والاعتداء الشديدين قد جعلا صبر بعضهم شبه مستحيل حتى أثار فيهم هذا الظلم غضباً يفوق الاحتمال والصبر مما قد يجعل الإنسان شبه مجنون يفعل ما يشاء دون شعور بالعاقبة، مع معرفتي وتقديري لكل ذلك أريد أن ألفت نظر العاملين في هذا المضمار إلى ضرورة النظر في تخطيط العمل وطريقة الجهد هل حصل لهم بها المقدار المرجو من النتائج ؟ وهل زادوا لهم بها لدينهم وفكرتهم ودعوتهم أصدقاء أو أعداء ؟ ولماذا هذه العداوة الشديدة بين أبناء الإسلام أنفسهم وللإسلام الذي يدعو إليه إخواننا العاملون للإسلام؟.

ولماذا يخاف أبناء المسلمين هؤلاء من الإسلام نفسه مع أن الإسلام دين رحمة وسلام، ودين لا يسلب من صاحبه خيراً، بل إنما يعطيه مزيداً من الخير من نفسه.

لقد كان من المتوقع أن يزداد إقبال الناس على فهم الإسلام بازدياد تعريف لهم بالإسلام، وأن يقتربوا حتى الأجانب منهم إلى الإسلام، وأن ترق قلوبهم على مرور العاملين للإسلام من خلال المحن والشدائد وأن يرحموهم أو يشعروا في أنفسهم لهم بالرحمة.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن نتيجة عملهم للإسلام وسعيهم لزيادة حجم صحوته يظهر أنها لا تحصل بالمقدار الذي كان يرجى لها ، بل وقد يبدو كشيء من الانتكاس والفشل.

إن من عادتنا أننا نلقي المسؤلية في مثل هذه الحالات على خصومنا وأعدائنا ، مع أن من المعلوم أن الأعداء هم الأعداء ، وهم لن يقصروا في صد التيار المخالف لهم ، وبذل ما يسعهم من جهد لرد الزحف الذي يرونه خطراً على أنفسهم ، وخاصة لأن عددهم أضعاف عدد العاملين للإسلام، و وسائلهم أقوى من وسائل العاملين للإسلام ، وأوفق لمقتضياتهم وحاجات دفاعهم، فليس من الغريب أن يفعل الأعداء ما يفعلون ، ولكن الغريب أن لا نكون عارفين بذلك من قبل.

إن الأهمية في كل جهد وعمل إنما تكون في التخطيط للعمل بالنظر إلى ما حدث وما قد سيحدث، إن القوى المعادية للإسلام قد سادت اليوم في الداخل والخارج كليهما بعد أن كانت في الخارج وحده ، والقوى المعادية من الداخل هي مساندة من الخارج وبكافة الأسلحة والوسائل للمقاومة والهجوم، والإنسان المكافح يستطيع مواجهة العدو الخارجي بقدر ما يسعه من همة ووسائل ما دام مأموناً من الداخل، ولكن كيف يسعه أن يواجه العدوين:العدو الخارجي والعدو الداخلي الذي هو متغلغل في بيئاتنا ومجتمعاتنا، لأن الحرب إذن تصبح أولاً حرباً داخلية وهي لا تنتهي إلا على أشلاء من كلا الجانبين،

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يكون الضحية فيها إلا أبناء أمة واحدة وحدها، فإنما يجب أن يكون تخطيط العمل برعاية الأوضاع والظروف، إنه يجب أولاً السعي لتقليل الأعداء لا لتكثيرهم، وأول شيء فيه أن يزول الأعداء من الداخل، وما دمنا نواجه أعداءنا في الداخل يستريح أعداءنا في الخارج أعداءنا الحقيقيين، وهذا هو الذي يقع الآن في العالم الإسلامي، فحيث إن أكثر معاركنا أصبحت دائرة بيننا وبين من هم من أبناء أمتنا، فعلينا أن ننتصر عليهم حتى نقدر على أن ندخل في المعركة مع أعداءنا الحقيقيين، إنه عمل طويل ولا يرجى فيه النجاح والانتصار إلا بصعوبة، ولذلك لا نجد في هذا التخطيط إلا تقديم الضحايا تلو الضحايا.

إن المجابهة تأتي في الإسلام بعد عمل الدعوة والحوار فإذا لم ينجحا فإذن تكون المجابهة، والمجابهة حينئذ مفتقرة إلى مقارنة القوّة بالقوّة، وقد وضع الله تعالى لها نسبة معينة بقوله: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾١ وإذا تناسينا الرعاية لهذه النسبة فلا غرابة إذن في أن نلقى في هذا الجهد ما يلقى الضعيف من مواجهة القوي، ونرى رعاية هذه المقاومة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أحب خلق الله إلى الله خالق هذا الكون،

---

١ الآية : ٦٦، سورة الأنفال .

www.abulhasanalinadwi.org

فإنه لم يسمح له بالمجابهة إلى أن حصلت له قوة يرجى منها الصمود، وأصبح لها مركز مأمون ، إنه لم يسمح لهذه القوة بالمجابهة إلا في وجه من لا يزيد حجمها منها زيادة كبيرة، لقد وعد المسلمين عند معركة بدر بإحدى الطائفتين، وكان المسلمون يرجون أن تكون غير ذات الشوكة،وأنزل الله تعالى ملائكته حينما لقوا الطائفة التي كانت ذات شوكة.

إن الترتيب الصحيح لعمل غلبة الإسلام هو الترتيب الذي نقتبسه من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة أتباعه الدعاة المجاهدين.

وهو أن نقوم أولاً بالدعوة ، متبعين لقول الله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [١]،ثم نتدرج خطوةً خطوةً، فهل وفينا هذا الأمر حتى ندخل في مراحل تالية أخرى، ألم يبق بين أعداءنا من نرجو منه أن يسمع لكلامنا، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرجو من أبى جهل بن هشام وهو عدو الله الأكبر في مكة، وذلك بدعائه أن يسلم أحد العمرين: أحدهما عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وآخرهما أبو جهل ابن هشام،وذلك قبل إسلام سيدنا عمر ابن الخطاب، ونحن نقضي بسهولة بأنه لم يعد في أعداءنا من يمكن لنا معهم الحوار، ومع أنهم أبناء جنسنا ، وقد

---

١ الآية : ١٢٥، سورة النحل .

www.abulhasanalinadwi.org

يكونون من أهل قرابتنا.لو أن هؤلاء الأعداء من أبناء جنسنا كانوا ضعفاء، كان من المتوقع أن لا تأتي مجابهتنا لهم بالضرر ولكنهم مساندون من القوى الكبرى ومالكون لوسائل القمع والقتل والقضاء على المجابهات، فكيف يكون صحيحاً أن نسير في هذا النفق المظلم من المجابهات.

إني أرى أن نستفيد من التجارب التي مررنا من خلالها منذ عقود من السنين ، وأن نبدأ دراسة جديدة لدعم الصحوة الإسلامية وبناء قوة عاملة للإسلام نكسب لها أصدقاء أكثر من الأعداء، وإن شطراً من هذا يحصل بالدعوة مع الحكمة والموعظة الحسنة، وشطراً آخر يمكن أن يحصل بتخطيط حكيم يوافق الظروف والأوضاع المتجددة سياسياً واجتماعياً، كل يوم والله ولي التوفيق.

www.abulhasanalinadwi.org

شهر الربيع

www.abulhasanalinadwi.org

فرصة لاستذكار تأثير الإسلام على الإنسانيـة

هذا هو الشهر الذي ينقضي بـه أربعـة عشـر قرنـاً على مولد رسول الله محمـد بـن عبـد الله خـاتم الرسـالات السـماوية لأبنـاء هـذه الأرض، أربعـة عشـر قرنـاً زاخـرة بالأحداث، والتحولات،والوقائع، والأحوال، والانتصـارات، والبنـاء، والانكمـاش، والضعـف، أربعـة عشـر قرنـاً مـن التاريخ المتصل لأمة الإسلام، لم تتخللها فترة انقطاع لظلال الأمة بل تداولت بين امتداد واختصار، وذلك لأن الأمـة لم تبدأ تاريخها جزافاً ولا ارتجالاً ، بل إنمـا سـبقته مرحلـة بنـاء لوحداتها الفردية، ولخلايا كيانها الأساسية لمدة ثلاث عشرة سنة، كانت عملية البناء فيـها صـهراً لهـا في بوتقـة شـديدة التأثير مرت فيها مـن خـلال أحداث مـن نـار، كـان مـن تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها لأتباعـه هـو الثبات والصبر ومواجهة كل أشـكال التعذيـب والتنكيـل بالوداعة والاحتساب إلى أن أذن الله لرسـوله بالانتقـال إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة بناء الأمة بعد مرحلة بناء الفرد

www.abulhasanalinadwi.org

لم يكن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة للتخلص بنفسه وبدينه من عداوات قريش، بل إنما كان نقلة إلى مرحلة ثانية من مرحلتي رسالته السماوية العالمية الخالدة، كانت المرحلة الأولى مرحلة الجهود الوادعة، والقيام بالنصيحة والإرشاد بالمحبة والرفق، ومرحلة تربية الأفراد كخلايا المجتمع الإنساني الفاضل الجديد، فإنها هي اللبنات الأساسية التي يقوم عليها بناء الأمة الجديدة، فلقد كانت المرحلة الأولى مرحلة تربية الأفراد على القدرة لمواجهة الظروف القاسية والأحوال الشديدة، ليكونوا صامدين أمام الأحداث الجسام وقادرين على حمل مسؤليات ضخام، ولتنشأ بعدها منهم أمة تقوم مقام فرد قيادي واحد، وتنوب مناب قائدها ورسولها، وتقوم بأداء مهام رسالة نبيها بعد وفاته.

لقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم في مكة بتبليغ دين الله وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربهم، ويخبرهم بأن الحياة التي يعيشونها هي ضيقة وعفنة ، وأنهم في الحاجة إلى حياة واسعة، متكفلة لنجاحهم في الحاضر، وفي المستقبل هي ضامنة لخيرهم وسعادتهم، وكان يعلم الناس الخير ويدلّهم على الرشاد ، وكل ذلك برقة ولطف وحجة ونصيحة لا غضب ولا عنف ولا اختيار الوسائل الممكنة للضغط والقهر.

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وضع في قومه يمكن له معه أن يتخذ وسائل القوة والشدة ، فقد

www.abulhasanalinadwi.org

كان ابن عبد الله ابن عبد المطلب ابـن هاشـم وهـم سـادة قريش، قبيلة لها أعظم مكانـة بين قبـائل العـرب وأعظـم شرف لسدانتها للكعبـة بيـت الله الأعظـم المقـدس لـدى العرب جميعاً.

فلقد أشار الله تعالى إلى مكانة قريش هـذه في كتابـه المجيـد بقولـه: ﴿لإيـلاف قريـش، إيلافـهم رحلـة الشـتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم مـن جوع ، وآمنهم مـن خـوف﴾١، وقـد كـان يأتيـهم رزقـهم بالتجارة التي كانت قوافلهم تمر بها بـين القبـائل العربيـة بدون أن ينهبوا أو يغار عليهم، وكـان بلدهـم مأمونـاً مـن إساءة القبائل.

كان سيدنا رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم وهـو واسط العقد في قريش وفي أشرف فرع مـن فروعـها ، وفي مكانـة سـيادتها والإشـراف عليـها، يسـتطيع أن يسـتخدم مكانته هذه للوصول إلى المقصـود كمـا يسـتخدمها الدعـاة السياسيون، ولكنه آثر الدعوة السلمية ولم يغضب ولم يـثر حتى على أشد الناس معاداة له، ولما طالب عمه أبو طـالب منه أن يتنازل عـن دعوتـه لأن القبيلـة كارهـة لهـا ومعاديـة عليها لم يبد غضباً ولا هياجاً على سـلوك القبيلـة منـه، ولم يتكلم بكلام جاف بل اعتذر اعتذاراً سلمياً واستعبر باكياً،

١ سورة قريش .

www.abulhasanalinadwi.org

وقال: يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته"١، فكان وقع هذا الموقف عظيماً على قلب العم فتركه وسمح له بالاستمرار فيما هو فيه.

لقد سارت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا النهج الكريم الوادع، وكان الناس يدخلون في دين الله أرسالاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يحتملون كل مكروه، ويصبرون على كل أذى ، ولم يكونوا يفكرون في الرد بعنف أو معاملة الأذى بأذى .

احتمل الرسول عليه السلام وأتباعه أثناء هذه المرحلة الأذى الشديد، ومروا من خلال الظروف القاسية المستمرة طويلاً، فحضر بعضهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً وذكروا له بلوغ المصائب إلى حد لا يطاق، وأرادوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه بإزاحة القسوة والعذاب، فاعتدل رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وكان متكئاً، وذكر ما بلغ الأمم السابقة من التعذيب والشدة ولاقت كل ذلك بالصبر.

واستمر بالمسلمين كل هذا وهم صابرون محتملون ، لايضعفون ولا يكلون، يريدون بذلك وجه الله ويحتسبون

---

١ سيرة النبي/ أبو محمد عبد الملك بن هشام، ٢٧٨/١، دار الهداية، القاهرة.

www.abulhasanalinadwi.org

الأجر في الآخرة، لا يردون على الشدة بالشدة، وعلى التعذيب بالمجابهة، وعلى الإساءة بالانتقام، راضون من الله بما أراد منهم ورضي به لهم، إلى أن جاء أمر ربهم وأمروا بالخروج إلى مكان آمن للقيام بدينهم إذا لم يقدروا على القيام به في وطنهم، أما الرسول عليه السلام فلم ينزل له أمر بذلك واستمرت الأحوال، وأخيراً جاء الإذن السماوي بانتهاء المرحلة وبداية عهد جديد، عهد القوة و المواجهة والنضال،وهنا كانت الهجرة النبوية العظيمة، ذلك الحدث التاريخي الخالد الذي لم يغير مجرى تاريخ بلد من البلاد بل إنما غير مجرى التاريخ الإنساني كله.

فهذه الشعوب الإسلامية التي يربو اليوم عددها على أربعين دولة من بين مائة وخمسين دولة في العالم ليست إلا من ثمرات تلك الهجرة العظيمة، فلو لم تكن حدثت منذ أربعة عشر قرناً لم تكن هذه الشعوب، ولم تكن لها هذه القيمة والمكانة، ولم يكن هذا التراث العظيم الذي أبقى لها امتداداً واستمراراً طويلاً في التاريخ الإنساني.

فهجرة الرسول عليه السلام لم تكن مجرد هجرة من بلد إلى بلد، أو هجرة من بيئة الظلم والتعذيب إلى بيئة الأمن والسيادة، بل إنما كانت نقطة انتقال من مرحلة القاعدة والأساس إلى المرحلة الكبيرة الحقيقية لأداء المسؤلية الملقاة على هذه الأمة الخالدة التي كانت مسؤلة عن أداء دور مهم في التاريخ الإنساني.

www.abulhasanalinadwi.org

لاعزة ... إلا بالقرآن والسنة

المسلمون الأوائل لم ينظروا إلى متاع الدنيا إلا كما وصفه القرآن، ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾١"، فآثروا المحافظة على التقوى، فهابتهم الأمم وحاسبت لهم كل حساب، وبذلك أصبحوا في موضع التجلّة والتقدير والمهابة من كل الشعوب والأمم، ولكن داء الأمم لحقهم أخيراً، فبدأوا يندمجون في الحياة الرخيصة، وبمدى اندماجهم في الحياة الرخيصة أثرت الأوضاع على نفوسهم، فأضعفت محافظتهم على منهجهم وقيمهم، فبدأت شوكتهم تهون في قلوب الناس، وأصابهم كل ما يصيب الأمم حينما تنتقل من مرحلة الانتصار والتقدم إلى مرحلة الانتفاع والترهل، وهناك بدأت قصة الصراع بين المحافظة على القيم والتهافت على الرغائب، فبمدى غلبة جانب من الجانبين تظهر النتائج وتأتي العواقب.

١ الآية : ٧٧، سورة النساء .

www.abulhasanalinadwi.org

إن أحوال عز المسلمين ومجدهم في السابق غير قليلة ، فقد بلغت بطولاتهم إلى حد الإعجاز، ولا تزال إلى اليوم تزين صفحات تاريخهم وتظهر كمنارات للطريق، يهتدي بنورها من يهتدي، ويستفيد بها من يستفيد، ولا يزال فيها شيء كثير من الموعظة والاعتبار، وهي أمثلة خالدة يعترف بعظمتها حتى أعداء الإسلام، ويخافون تكررها من المسلمين، ولا يخافون المسلمين عند تجردهم منها، فاسم الإسلام والمسلمين لا يزال مهاباً وخالداً ولكن بشرط أن يقترن بالصفات الحقيقية.

أما اختيار منهج الانتفاع والعكوف على الرغائب فإنه يجر في عامة الأحوال إلى مجافلة القيم، أو عدم المحافظة عليها، لأنه يصعب جمع الجانبين واحتواء صفاتهما معاً، وإذا فقدت أمة قيمها أو ضعفت عن المحافظة عليها فإنها لا تقدر بعد ذلك على التماسك أمام الغزو المعادي ، فهي إما تندمج في أمة أخرى قوية فتعيش معها في مؤخرة الركب مهينة ذليلة، وإما تنسحب عن المضمار ويطغى على اسمها وذكرها النسيان.

فإننا بحاجة اليوم إلى التفكير في هذا الصراع المرير بين المحافظة على القيم وبين العكوف على الرغائب ، الذي يمر المسلمون اليوم من خلاله، فإن هذا يحذر بأن لا يتغلب على المسلمين جانب الرغائب ويخرج من حياتهم جانب القيم، فإنه حينئذ ينالهم ـ لا قدر الله ـ ما ينال أي أمة تفقد قيمها وشخصيتها فتغيب عن المضمار ويطغى على اسمها النسيان.

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الكتاب

الرقم	العناوين	الصفحة
١	كلمة المؤلف	١
٢	بين يدي الكتاب	٤
	الإسراء والمعراج	
٣	الإسراء والمعراج	١١
	الصيام وعيد الفطر	
٤	دروس شهر رمضان	١٨
٥	شهر رمضان وتزكية النفس والمؤاساة للناس	٢٨
٦	الإيمان والعمل الصالح	٣٤
٧	الاعتكاف مخيم تربوي وفترة للتكيف بالجو الروحاني	٤١
٨	ليلة القدر فرصة لمضاعفة الأجر وحافز إلى السباق إلى أعمال الخير	٤٦
٩	انقضى رمضان	٥٢
١٠	بين العيد والمناسبات الدينية الأخرى	٦٠
١١	العيد والعالم الإسلامي	٦٤

www.abulhasanalinadwi.org

الرقم	العناوين	الصفحة
	الحج وعيد الأضحى	
١٢	الحج مشهد عظيم من مشاهد المحبة والإيمان	٦٩
١٣	عبادة وإظهار الحب لله	٧٤
١٤	لبيك اللهم لبيك	٨٠
١٥	مثابة للناس وأمنا	٨٥
١٦	عيد الأضحى المبارك وذكرى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام	٩٦
١٧	ذكرى التضحية والإيثار	١٠١
١٨	فرصة لمحاسبة النفس والاحتساب	١٠٦
١٩	معاني الوحدة والفداء	١٠٨
٢٠	أنعم بعيد الأضحى وأكرم ولكن ..	١١٢
	دروس الهجرة	
٢١	الانتقال من بيئة إلى بيئة جديدة	١١٥
٢٢	عام هجري جديد واستراتيجية جديدة	١٢٠
	شهر الربيع	
٢٣	فرصة لاستذكار تأثير الإسلام على الإنسانية	١٢٧
٢٤	لا عزة ... إلا بالقرآن والسنة	١٣٢
	فهرس الكتاب	١٣٤

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org